فضل من باع نفسه لله تعالى وجاهد في سبيله

قال الله ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: 111].

- أن يبيع المرء نفسه لله... فهذا من أسمى وأعلى وأرفع مراتب التضحيات.. ولكن كل غالٍ يرخص ويهون أمام رضى الله تعالى وأمره. فبقدر المحبة يكون العطاء.. وما أجمل العطاء إذا كان للمعطي نفسه. إنها قمة المجد، وذروة البذل والعطاء.

والسلعة هي الجنة، والجنة غالية، ورضى الله أغلى. وأمام هذا الغالي تهون الحياة. ويكون البيع والشراء. البائع الذي باع روحه لله.. والمشترى الذي اشترى هو الله... وكل شيءٍ من الله وإليه. وهنا يكمن سرُّ الحياة.. ويكمن أيضاً سرُّ العطاء.

ويا له من ربح بعد هذا البيع وبعد هذا الشراء.. إنه الرضى والرضوان... إنه النعيم المقيم في جنات رب العالمين، إنه السعادة الأبدية السرمدية.. إنه الخلود بجوار الله.. إنه السرور الذي لا ينقطع، والذي يعجز حتى الخيال عن وصفه. إنها ضيافة الرحمٰن. والرحمن ضامن، وعهد الله باقٍ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ يا من بعتم أنفسكم لله استبشروا ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

- روى البخاري (36)، ومسلم (1876)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَاداً فِي سَبِيلِي. وَإِيمَاناً بِي، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلْمٍ يُكلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ.**

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَداً. وَلٰكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ» لفظ مسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً» إلى قوله: «أن أدخله الجنة» وفي الرواية الأخرى: «تكفل الله» ومعناهما أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111] الآية. قوله ﷺ: «لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي» هكذا هو في جميع النسخ «جهاداً» بالنصب وكذا قال بعده: «وإيماناً بي وتصديقاً» وهو منصوب على أنه مفعول له، وتقديره لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق.

قوله ﷺ: «لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي» معناه لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى. وقوله في الرواية الأخرى: (وتصديق كلمته) أي كلمة الشهادتين وقيل تصديق كلام الله تعالى في الأخبار بما للمجاهد من عظيم ثوابه. قوله تعالى: «فهو علي ضامن» ذكروا في ضامن هنا وجهين: أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق أي مدفوق، والثاني: أنه بمعنى ذو ضمان. قوله تعالى: «أن أدخله الجنة» قال القاضي: يحتمل أن يدخله عند موته كما قال تعالى في الشهداء: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] وفي الحديث: «أرواح الشهداء في الجنة» قال: ويحتمل أن يكون المراد دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلا حساب ولا عذاب ولا مؤاخذة بذنب، وتكون الشهادة مكفرة لذنوبه كما صرح به في الحديث الصحيح.

قوله تعالى: «أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة» قالوا معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنموا، أو من الأجر والغنيمة معاً إن غنموا، وقيل: إن «أو» هنا بمعنى الواو أي من أجر وغنيمة، وكذا وقع بالواو في رواية أبي داود، وكذا وقع في مسلم في رواية يحيى بن يحيى التي بعد هذه بالواو، ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيراً بكل حال، فإما أن يستشهد فيدخل الجنة، وإما أن يرجع بأجر، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة.

قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك» أما الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجرح، ويكلم بإسكان الكاف أي يجرح، وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى.

قوله: «والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله» أي خلفها وبعدها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين، والرأفة بهم، وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها، وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم.

قوله: «لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل» فيه فضيلة الغزو والشهادة، وفيه تمني الشهادة والخير وتمني ما لا يمكن في العادة من الخيرات، وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين[1]. قوله ﷺ: **«والله أعلم بمن يكلم في سبيله»**

---

(1) **فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ في المملكة العربية السعودية ـ في مشروعية الجهاد. تحت الرقم (6426) من خلال سؤال السائل:** إن الجهاد في دار الحرب يعني حرب الهجوم للاستيلاء على القوة وإدخال غير المسلمين في الإسلام؟

الجواب: شرع الله تعالى الجهاد لنشر الإسلام، وتذليل العقبات التي تعترض الدعاة في سبيل الدعوة إلى الحق، والأخذ على يد من تحدثه نفسه بأذى الدعاة إليه، والاعتداء عليهم؛ حتى لا تكون فتنة، ويسود الأمن، ويعم السلام، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وبهذا يعلم أن الجهاد شرع لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإدخالهم في دين الله أفواجاً؛ حتى لا تكون فتنة، وللدفاع أيضاً عن حوزة الإسلام.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، قالوا: وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة وقطاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك والله أعلم. «شرح صحيح مسلم» (٦ ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٦).

في هديهِ ﷺ في الجهاد والمغَازي والسَّرايا وَالبُعُوث

قال الإمام ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ لما كان الجِهَاد ذِروةَ سَنَام الإسلام وقُبَّتَه، ومنازِلُ أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرِّفعةُ في الدنيا، فهم الأَعْلَوْنَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، كان رسولَ اللهِ ﷺ في الذِّروةِ العُليا منه، واسْتولى على أنواعه كُلِّها فجاهد في اللهِ حقَّ جهاده بالقلب، والجَنانِ، والدَّعوة، والبيان، والسيفِ، والسِّنَانِ[1]، وكانت ساعاته موقوفةً على الجهاد، بقلبه، ولسانه، ويده. ولهذا كان أرفعَ العَالَمِينَ ذِكراً، وأعظمَهم عند اللهِ قدراً.

وأمره الله تعالى بالجِهاد مِن حين بعثه، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: 51، 52] فهذه سورة مكيّة[2] أمر فيها بجهاد الكفار، بالحُجة، والبيان، وتبليغ القرآن، وكذلكَ جهادُ المنافقِينَ، إنما هو بتبليغ الحُجَّة، وإلا فهم تحت قهر أهلِ الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: 73]. فجهادُ المنافقين أصعبُ مِن جهاد الكفار، وهو جهادُ خواصِّ الأمة، وورثةِ الرُّسل، والقائمون به أفرادٌ في العالم، والمشارِكُون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هُم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً.

ولما كان مِن أفضل الجهاد قولُ الحقِّ مع شدة المُعارِضِ، مثلَ أن تتكلم به عند من تُخاف سَطوتهُ وأذاه، كان للِرسلِ صلواتُ اللهِ عليهم وسلامُهُ مِن ذلك الحظُّ الأوفَرُ، وكان لنبِيِّنا صلواتُ الله وسلامُه عليه من ذلك أكملُ الجهاد وأتمُّه.

---

(1) السنان: جمع أسنة: وهي نصل الرماح.

(2) سورة الفرقان مكيّة، إلا الآيات (68) و (69) و (70) فمدنيّة. وآياتها (77) نزلت بعد سورة «يٓس».

ولما كان جهاد أعداءِ اللهِ في الخارج فرعاً على جهادِ العبد نفسه في ذاتِ اللهِ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**المجاهِدُ مَنْ جَاهَد نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنه**»[1]. كان جهادُ النفس مُقدَّماً على جِهَادِ العدوِّ في الخارج، وأصلاً له، فإنه ما لم يُجاهِدْ نفسه أَوَّلاً لِتفعل ما أُمِرَتْ به، وتتركَ ما نُهيتْ عنه، ويُحارِبْهَا في الله لم يُمكِنْهُ جهادُ عدوه في الخارج، فكيف يُمكِنُهُ جهادُ عدوه والانتصاف منه، وعدوُّه الذي بين جنبيه قاهرٌ له، متسلِّطٌ عليه، لم يُجاهده، ولم يُحاربه في الله، بل لا يُمكنه الخروجُ إلى عدوِّه، حتى يُجاهِدَ نفسَه على الخروج.

فهذان عدوَّان قد امْتُحِنَ العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌّ ثالث، لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يُثَبِّطُ العبدَ عن جهادهما، ويُخَذِّلُه، ويُرجِفُ به، ولا يزالُ يُخَيِّل له ما في جهادهما مِن المشاق، وتركِ الحظوظ، وفوتِ اللذاتِ، والمشتهيات، ولا يُمكنه أن يُجاهِدَ ذَيْنِكَ العدويْنِ إلا بجهاده، فكان جهادُه هو الأصلَ لجهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6]. والأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوُسع في مُحاربته ومجاهدته، كأَنَّهُ عدو لَا يَفْتُر، ولا يُقصِّر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

فهذه ثلاثة أعداء، أُمِرَ العبدُ بمحاربتها وجهادها، وقد بُلي بمحاربتها في هذه الدار، وسُلِّطَتْ عليه امتحاناً من الله له وابتلاء، فأعطى اللهُ العبدَ مدداً وعُدَّةً وأعواناً وسلاحاً لهذا الجِهَادِ، وأعطى أعداءه مدداً وعُدَّةً وأعواناً وسِلاحاً، وبَلَا أحدَ الفريقين بالآخر، وجعل بعضَهم لبعض فتنة لِيَبْلُوَ أخبارهم، ويمتحِنَ من يتولَّاه، ويتولَّى رسُلَهُ ممن يتولَّى

(1) إسناده صحيح. أخرجه أحمد في مسنده (4022/ 9) من حديث فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ قَالَ في حجة الوداع: «أَلا أُخْبِرُكُمْ مِنَ الْمُسْلِمُ؟ مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ؟ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ على أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالمُهَاجِرُ؟ مَنْ هَجَرَ الخطايا والذُّنُوبَ، والمُجَاهِدُ؟ مَنْ جاهَدَ نَفسَهُ في طاعَةِ الله عزَّ وَجَلَّ».
وأخرجه ابن حبان (٤٨٦٢) والبزّار (١١٤٣) والحاكم (١/٢٤) وأخرجه ابن ماجه (٣٩٣٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣١٢) مختصراً. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٥٦٢٥) ط. دار الفكر وقال: روى ابن ماجه منه: «المؤمن من أمنه الناس، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» فقط.
وقال: رواه البزّار، والطبراني في «الكبير» باختصار، ورجال البزّار ثقات. ا هـ. وفي الباب عن أنس ﷺ عند البزّار (٢١) وأبي يعلى (٤١٨٧) وأحمد (١٢٥٦٢/ ٤).

الشيطانَ وحِزبه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: 4]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: 31]. فأعطى عباده الأسماعَ والأبصارَ، والعُقول والقُوى، وأنزل عليهم كُتُبَه، وأرسلَ إليهم رسُلَه، وأمدَّهم بملائكته، وقال لهم: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: 12].

وأمرهم من أمره بما هو مِن أعظم العونِ لهم على حرب عدوهم، وأخبرهم أنَّهم إن امتثلوا ما أمرهم به، لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوِّهم وأنه إن سلَّطه عليهم، فلتركهم بعضَ ما أُمروا به، ولمعصيتهم له، ثم لم يُؤيسهُم، ولم يُقنِّطْهُمْ، بل أمرهم أن يسْتَقْبِلُوا أمرهم، ويُداووا جِرَاحَهُم، ويَعُودوا إلى مُناهضةِ عدوهم فينصرَهم عليهم، ويُظفرَهم بهم، فأخبرهم أنه معَ المتقين مِنهم، ومعَ المحسنينَ، ومع الصابرين، ومع المؤمنين، وأنه يُدافع عن عباده المؤمنين ما لا يدافعون عن أنفسهم، بل بدفاعه عنهم انتصروا على عدوِّهم، ولولا دفاعُه عنهم، لتخطّفهم عدوُّهم، واجتاحهم.

وهذه المدافعةُ عنهم بحسب إيمانِهم، وعلى قَدْرِهِ، فإن قَوِيَ الإيمانُ، قويتِ المُدافعة، فمن وجد خيراً، فليحمدِ الله، ومن وجد غيرَ ذٰلِكَ، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وأمرهم أن يُجاهدوا فيه حقَّ جهاده، كما أمرهم أن يتَّقوه حقَّ تُقاته، وكما أن حقَّ تُقاته أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفر، فحقُّ جهاده أن يُجاهِدَ العبد نفسَه لِيُسْلِم قلبه ولِسانه وجوارِحه للهِ، فيكون كُلُّه لله، وباللهِ، لا لنفسِه، ولا بنفسه، ويُجاهدَ شيطانه بتكذِيبِ وعدِهِ، ومعصيةِ أمرِهِ، وارتكابِ نهيه، فإنه يَعِدُ الأمانِيَّ ويُمَنِّي الغُرورَ، ويَعِدُ الفقرَ، ويأمرُ بالفحشاء، وينهى عن التُّقى والهُدى، والعِفة والصبرِ، وأخلاقِ الإيمان كُلِّهَا، فجاهده بتكذِيبِ وعده، ومعصيةِ أمره، فينشأُ له من هذين الجهادين قوةٌ وسلطان، وعُدَّة يُجاهد بها أعداءَ الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده ومالِهِ، لِتكون كلمةُ الله هي العليا.

واختلفت عبارات السلف في حقِّ الجهاد:

فقال ابن عباس: هو استفراغُ الطاقة فيه، وألا يَخافَ في اللهِ لومةَ لائم. وقال مقاتل: اعملوا لِلَّهِ حقَّ عمله، واعبدُوه حقَّ عِبادته. وقال عبد الله بنُ المبارك: هو مجاهدةُ النفس والهوى.

ولم يُصِبْ من قال: إن الآيتين منسوختان لظنه أنهما تضمنتا الأمر بما لا يُطاق، وحقّ تُقاته، وحقّ جهاده: هو ما يُطيقه كلُّ عبد في نفسه، وذلك يختلِف باختلافِ أحوال المكلفين في القُدرةِ، والعجزِ، والعلمِ، والجهلِ.

فحقُّ التقوى، حقُّ الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيء، وبالنسبة إلى العاجز الجاهل الضعيف شيء، وتأمل كيف عقَّب الأمر بذلك بقوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] والحَرَج: الضِّيقُ، بل جعله واسعاً يسَعُ كُلّ أحد، كما جعل رِزقه يسع كُلّ حي، وكلَّف العبدَ بما يسعه العبدُ، ورزق العَبدَ ما يسعُ العبد، فهو يسعُ تكليفَه، ويسعه رزقُهُ، وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما.

وقد وسَّع اللهُ ﷻ على عباده غايةَ التَّوسِعة في دينه، ورِزْقه، وعفوه، ومغفرتِهِ، وبسط عليهم التوبةَ ما دامت الروحُ في الجسد، وفتح لهم باباً لها لا يُغْلِقُهُ عنهم إلى أن تَطْلُعَ الشمسُ مِن مغربها، وجعلَ لِكلِّ سيئة كفارةً تُكفرها من توبة، أو صدقة، أو حسنة ماحية، أو مُصيبة مكفرة[1]، وجَعل بكل ما حرَّم عليهم عِوضاً مِن الحلال أنفعَ لهم منه، وأطيَبَ، وألذَّ، فيقومُ مقامه لِيستغني العبدُ عن الحرام، ويسعه الحلال، فلا يَضيقُ عنه، وجعل لِكل عُسْرٍ يمتحنُهم به يُسراً قبله، ويُسراً بعده، «**فلن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسَرَيْنِ**»[2] فإذَا

---

(1) روى البخاري (6541) ومسلم (2573) عن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ؛ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كُفِّر به من سيئاته». والوصب: الوجع اللازم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾. أي لازم ثابت. والنصب: التعب. وروى مسلم (2574). عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ. قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغاً شَدِيداً فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا. فِفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكِبُهَا، أو الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا».

(2) أخرج الحاكم في التفسير (2/ 3950) عن الحسن البصري في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝١﴾ قال: خرج النبي يوماً مسروراً وهو يضحك وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين» ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝١ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ قال الذهبي في «التلخيص» مرسل. اهـ. وأورده الزمخشري في «الكشاف» (4/ 221) وتعقبه الحافظ ابن حجر في «الكافي» (334) بقوله: ويروى مرفوعاً، وعند عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن، مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم والبيهقي في «الشعب». ورواه الطبري من طريق أبي ثور عن معمر. وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً. وإسناده ضعيف. وفي الباب عن عمر ﷺ ذكره مالك في «الموطأ» عن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حضر بالشام فذكر القصة. وقال في الكتاب إليه؛ ولن يغلب عسر يسرين. ومن طريقه رواه الحاكم. وهذا أصح طرقه. اهـ.

كان هذا شأنه سبحانه مع عباده، فكيف يُكلِّفُهم ما لا يسعهم فضلاً عما لا يُطيقونه ولا يقدِرُونَ[1] عليه.

في فضل المجاهد في سبيل الله تعالى ورفعة درجته على القاعد

قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: 95، 96].

- وفي «صحيح البخاري» (2785) و «صحيح مسلم» (1878)، وغيرهما واللفظ للبخاري من طريق حَصِين أَنَّ ذَكوانَ حدَّثه أَنَّ أَبا هريرةَ رضي الله عنه حدَّثهُ قال: «جاءَ رجلٌ إِلى رسولِ الله ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ يَعدِلُ الجِهادَ. قال: «لا أَجِدهُ». قال: «**هل تَستطيع إِذا خَرَجَ المجاهِدُ أَن تدخُلَ مَسجِدَكَ فتقومَ ولا تَفْتُرَ، وتَصومَ ولا تُفطِرَ؟**» قال: ومن يَستطيعُ ذلك؟ قال أَبو هريرةَ: إِنَّ فرَسَ المجاهدِ لَيَسْتَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكتبُ لهُ حسَناتٌ.

ومعنى قوله: ليستن في طوله، أي يمرح بنشاط في حبله المربوط به.

- ورواه أحمد (9927) ومسلم (1878) والترمذي (1619)، وغيرهما واللفظ لمسلم من طريق سُهَيْلِ بْنِ أَبي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ؟ قَالَ: «**لا تستطيعونه**» قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً. كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لا تستطيعونه**». وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**».

- وروى الإمام أحمد (3890) والبخاري (2782) ومسلم (85)، وغيرهم واللفظ للبخاري من طريق أَبي عمرٍو الشيبانيِّ قال: قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «سَأَلتُ رسولَ الله ﷺ قُلتُ: يا رسولَ الله أَيُّ العمل أَفضلُ؟ قال: «**الصلاةُ على مِيقاتِها**».

---

(1) «زاد المعاد» (3 ـ 3 ـ 7) بتحقيقنا. مختصراً.

قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «**ثمَّ برُّ الوالِدَين**». قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**». فسكتُّ عن رسولِ الله ﷺ ولو استزَدْتهُ لزَادَني».

- **وروى** البخاري (2786) ومسلم (1888)، وغيرهما، من طريق الزُّهريِّ قال حدَّثني عطاءُ بنُ يزيدَ اللَّيثيُّ أنَّ أبا سعيدٍ الخُدريَّ رضي الله عنه حدَّثهُ قال: قيل يا رسولَ الله أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مُؤمنٌ يُجاهِدُ في سَبيلِ الله بنَفسهِ وماله**». قالوا: ثمَّ مَن؟ قال: «**مؤمنٌ في شِعبٍ مِنَ الشعابِ يَتَّقي الله ويَدعُ الناسَ مِن شَرِّه**». لفظ البخاري.

- **وروى** البخاري (2787)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ المجاهدِ في سبيلِ الله** - والله أعلمُ بمن يُجاهِدُ في سبيله - **كمثَلِ الصائمِ القائم. وتوكلَ الله للمجاهدِ في سبيله بأَن يَتَوفّاهُ أَن يُدخِلَهُ الجنَّةَ أو يَرجِعَهُ سالماً مَعَ أَجرٍ أَو غنيمة**».

وقوله: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال ﷺ: «لا أجده» قال القاضي عياض رحمه الله: اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها، ولهذا قال ﷺ: «**لا تستطيع ذلك**» وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وإنما هي إحسان من الله تعالى لمن شاء، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً لما تقدم تقريره. وقال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. «فتح الباري» (٦/ ٨٠).

وقوله: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها**». . الحديث. قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: إنما خص ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براً، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع. «فتح» (٦/ ٧٩).

وقوله: يا رسولَ الله، أي الناس أفضل؟ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي رواية للحاكم «أي الناس أكمل إيماناً» وكأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذٍ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام فقد لا يفي هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن.

قوله ﷺ: «**مؤمن في شعب**» في رواية مسلم من طريق معمر عن الزهري «رجل معتزل».

قوله ﷺ: «**يتقي الله**» في رواية مسلم من طريق الزبيدي عن الزهري «يعبد الله» وفي حديث ابن عباس «معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة يعتزل شرور الناس» وللترمذي حسنه والحاكم وصححه من طريق ابن أبي ذئاب عن أبي هريرة «أن رجلاً مر بشعب فيه عين عذبة، فأعجبه فقال: لو اعتزلت، ثم استأذن النبي ﷺ فقال: **لا تفعل، فإن مقام أحدهم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً**».

وفي الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلام من الغيبة واللغو ونحو ذلك، وأما اعتزال الناس أصلاً فقال الجمهور: محل ذلك عند وقوع الفتن.

ويؤيد ذلك رواية بعجة بن عبد الله عن أبي هريرة مرفوعاً «**يأتي على الناس زمان يكون خير الناس فيه منزلة من أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يطلب الموت في مظانه، ورجل في شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس إلا من خير**» أخرجه مسلم وابن حبان من طريق أسامة بن زيد الليثي عن بعجة وهو بموحدة وجيم مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة.

قال ابن عبد البرّ: إنما أوردت هذه الأحاديث بذكر الشعب والجبل لأن ذلك في الأغلب يكون خالياً من الناس، فكل موضع يبعد على الناس فهو داخل في هذا المعنى.

قوله ﷺ: «**مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله**» فيه إشارة إلى اعتبار الإِخلاص، وسيأتي بيانه في حديث أبي موسى بعد اثني عشر باباً.

قوله ﷺ: «**كمثل الصائم القائم**»، ولمسلم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة «**كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام**» زاد النسائي من هذا الوجه

«الخاشع الراكع الساجد» وفي الموطأ وابن حبان «كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع» ولأحمد والبزّار من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله**» وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب لما تقدم من حديث «**إن المجاهد لتستن فرسه فيكتب له حسنات**» وأصرح منه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: 120، 121]. «فتح الباري» (٦/ ٨١ ـ ٨٢).

وقوله ﷺ: «وتوكل الله للمجاهد في سبيله» ولمسلم من هذا الوجه بلفظ «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي**» وفيه التفات وإن فيه انتقالاً من ضمير الحضور إلى ضمير الغيبة. وقال ابن مالك: فيه حذف القول والاكتفاء بالمقول، وهو سائغ شائع سواء كان حالاً أو غير حال وأخرجه الدارمي من وجه آخر عن أبي الزناد بلفظ «**لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلماته**».

نعم أخرجه أحمد والنسائي من حديث ابن عمر، فوقع في روايته التصريح بأنه من الأحاديث القدسية، ولفظه «عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه قال: **أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له إن رجعته أن أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة**» الحديث رجاله ثقات.

وأخرجه الترمذي من حديث عبادة بلفظ «يقول الله ﷻ: المجاهد في سبيلي هو عليَّ ضامن إن رجعته رجعته بأجر أو غنيمة» الحديث وصححه الترمذي.

وقوله: «تضمن الله وتكفل الله وانتدب الله» بمعنى واحد، ومحصلة تحقيق الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111] وذلك التحقيق على وجه الفضل منه ﷻ، وقد عبر ﷺ عن الله ﷻ بتفضله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم.

وقوله ﷺ: «لا يخرجه إلا الجهاد» نص على اشتراط خلوص النية في الجهاد، وسيأتي بسط القول فيه بعد أحد عشر باباً، وقوله: «فهو عليَّ ضامن» أي مضمون، أو معناه أنه ذو ضمان.

قوله: «بأن يتوفاه أن يدخله الجنة» أي بأن يدخله الجنة إن توفاه، في رواية أبي زرعة الدمشقي عن أبي اليمان «إن توفاه» بالشرطية والفعل الماضي أخرجه الطبراني وهو أوضح.

قوله: «أن يدخله الجنة» أي بغير حساب ولا عذاب، أو المراد أن يدخله الجنة ساعة موته، كما ورد «أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة» وبهذا التقرير يندفع إيراد من قال: ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد والراجع سالماً لأن حصول الأجر يستلزم دخول الجنة، ومحصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول الخاص.

قوله ﷺ: «أو يرجعه» بفتح أوله، وهو منصوب بالعطف على يتوفاه.

قوله ﷺ: «مع أجر أو غنيمة» أي مع أجر خالص إن لم يغنم شيئاً أو مع غنيمة خالصة معها أجر، وكأنه سكت عن الأجر الثاني الذي مع الغنيمة لنقصه بالنسبة إلى الأجر الذي بلا غنيمة، والحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر، وليس ذلك مراداً بل المراد أو غنيمة معها أجر نقص من أجر من لم يغنم، لأن القواعد تقتضي أنه عند عدم الغنيمة أفضل منه وأتم أجراً عند وجودها. فالحديث صريح في نفي الحرمان وليس صريحاً في نفي الجمع.

وقال الكرماني: معنى الحديث أن المجاهد إما يستشهد أو لا، والثاني لا ينفك من أجر أو غنيمة مع إمكان اجتماعهما، فهي قضية مانعة الخلو لا الجمع، وقد قيل في الجواب عن هذا الإشكال: إن أو بمعنى الواو، وبه جزم ابن عبد البرّ والقرطبي ورجحها التوربشتي، والتقدير بأجر وغنيمة.

وقد وقع كذلك في رواية لمسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة رواه كذلك عن يحيى بن يحيى عن مغيرة بن عبد الرحمٰن عن أبي الزناد، وقد رواه جعفر الفريابي وجماعة عن يحيى بن يحيى فقالوا: أجر أو غنيمة بصيغة «أو»، وقد رواه مالك في الموطأ بلفظ «أو غنيمة» ولم يختلف عليه إلا في رواية يحيى بن بكير عنه فوقع فيه بلفظ «وغنيمة» ورواية يحيى بن بكير عن مالك فيها مقال.

وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً **«ما من غازية تغزو**

في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم» وهذا يؤيد التأويل الأول وأن الذي يغنم يرجع بأجر لكنه أنقص من أجر من لم يغنم، فتكون الغنيمة في مقابلة جزء من أجر الغزو، فإذا قوبل أجر الغانم بما حصل له من الدنيا وتمتعه به بأجر من لم يغنم مع اشتراكهما في التعب والمشقة كان أجر من غنم دون أجر من لم يغنم، وهذا موافق لقول خباب في الحديث الصحيح الآتي «فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً» الحديث.

واستشكل بعضهم نقص ثواب المجاهد بأخذه الغنيمة، وهو مخالف لما يدل عليه أكثر الأحاديث، وقد اشتهر تمدح النبي ﷺ بحل الغنيمة وجعلها من فضائل أمته، فلو كانت تنقص الأجر ما وقع التمدح بها. وأيضاً فإن ذلك يستلزم أن يكون أجر أهل بدر أنقص من أجر أهل أحد مثلاً مع أن أهل بدر أفضل بالاتفاق.

وسبق إلى هذا الإشكال ابن عبد البرّ، وحكاه عياض وذكر أن بعضهم أجاب عنه بأنه ضعف حديث عبد الله بن عمرو لأنه من رواية حميد بن هانىء وليس بمشهور، وهذا مردود لأنه ثقة يحتج به عند مسلم، وقد وثقه النسائي وابن يونس وغيرهما لا يعرف فيه تجريح لأحد.

ومنهم من حمل نقص الأجر على غنيمة أخذت على غير وجهها، وظهور فساد هذا الوجه يغني عن الإطناب في رده، إذ لو كان الأمر كذلك لم يبق لهم ثلث الأجر ولا أقل منه. ومنهم من حمل نقص الأجر على من قصد الغنيمة في ابتداء جهاده وحمل تمامه على من قصد الجهاد محضاً، وفيه نظر لأن صدر الحديث مصرح بأن المقسم راجع إلى من أخلص لقوله في أوله: «لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي».

وقال عياض: الوجه عندي إجراء الحديثين على ظاهرهما واستعمالهما على وجههما. ولم يجب عن الإشكال المتعلق بأهل بدر.

وقال ابن دقيق العيد: لا تعارض بين الحديثين، بل الحكم فيهما جار على القياس لأن الأجور تتفاوت بحسب زيادة المشقة فيما كان أجره بحسب مشقته، إذ للمشقة دخول في الأجر، وإنما المشكل العمل المتصل بأخذ الغنائم، يعني فلو كانت تنقص الأجر لما كان السلف الصالح يثابون عليها، فيمكن أن يجاب بأن أخذها من جهة تقديم بعض المصالح الجزئية على بعض لأن أخذ الغنائم أو لما شرع كان عوناً على الدين وقوة لضعفاء المسلمين، وهي مصلحة عظمى يغتفر لها بعض النقص في الأجر من حيث هو.

وفي الحديث أن الفضائل لا تدرك دائماً بالقياس، بل هي بفضل الله. وفيه استعمال التمثيل في الأحكام، وأن الأعمال الصالحة لا تستلزم الثواب لأعيانها، وإنما تحصل بالنية الخالصة إجمالاً وتفصيلاً، والله أعلم. «فتح الباري» (٦ ـ ٨١ ـ ٨٥) مختصراً.

فضل الغدوة والروحة في سبيل اللّه تعالى[1]

- روى البخاري (2796) ومسلم (1880) وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَرَوحةٌ في سبيلِ الله أَو غَدوةٌ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها، ولَقابُ قَوسِ أَحدِكم منَ الجنةِ أَو مَوضعُ قِيدٍ ـ يَعني سَوطَهُ ـ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها. ولو أَنَّ امرأَةً من أَهلِ الجنةِ اطَّلَعَت إِلى أَهلِ الأَرض لأَضاءَت ما بينهما ولَمَلأَتْهُ رِيحاً، ولَنَصِيفُها على رأْسِها خيرٌ منَ الدنيا وما فيها**» لفظ البخاري.

- وروى البخاري (2794) ومسلم (1881) وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**الرَّوحةُ والغَدْوَةُ في سبيلِ اللهِ، أفضلُ من الدُّنيا ما فيها**» لفظ البخاري.

---

(1) **فتوى ـ سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في «المملكة العربية السعودية ـ تحت الرقم (7122)**: هل يعتبر الجهاد فرض عين علينا الآن وقد انتهكت حقوق المسلمين عن طريق الغزو الأجنبي أو غيره؟ وما هو الحكم في القاعدين الذين لا يملكون حيلة، غير أنهم لو استنفروا لأجابوا، ولجاهدوا في سبيل اللّه، وإنما حبستهم تلك الظروف التي تعانيها الأمة الإسلامية، من أن الحكم فيها لغير اللّه، مع الأدلة؟

فأجابت بما يلي: الجهاد لإعلاء كلمة اللّه، وحماية دين الإسلام، والتمكين من إبلاغه ونشره، وحفظ حرماته فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، ولكنه لا بد له من بعث الجيوش، وتنظيمها؛ خوفاً من الفوضى، وحدوث ما لا تحمد عقباه؛ ولذلك كان بدؤه، والدخول فيه من شأن ولي أمر المسلمين، فعلى العلماء أن يستنهضوه لذلك، فإذا ما بدأ واستنفر المسلمين، فعلى من قدر عليه أن يستجيب للداعي إليه، مخلصاً وجهه للّه، راجياً نصرة الحق، وحماية الإسلام، ومن تخلف عن ذلك مع وجود الداعي، وعدم العذر؛ فهو آثم.

وباللّه التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	**عبد الله بن غديان**	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

- وروى البخاري (2793) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لقاب قوسٍ في الجنَّةِ، خيرٌ ما تَطْلُعُ عليه الشمسُ وتغرُبُ» وقال: «لغدوةٌ أو رَوْحةٌ في سبيلِ اللهِ خيرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عليه الشمسُ وتغرُبُ».

والغدوة: بفتح الغين السير أول النهار إلى الزوال، والروحة السير من الزوال إلى آخر النهار، و (أو) هنا للتقسيم لا للشك، ومعناه أن الروحة يحصل بها هذا الثواب وكذا الغدوة، والظاهر أنه لا يختص ذلك بالغدو والرواح من بلدته بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو، وكذا غدوة وروحة في موضع القتال لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله.

ومعنى هذا الحديث أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما، خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باقٍ.

قال القاضي عياض رحمه الله: وقيل في معناه، ومعنى نظائره من تمثيل أمور الآخرة وثوابها بأمور الدنيا أنها خيرٌ من الدنيا وما فيها لو ملكها إنسان وملك جميع ما فيها وأنفقه في أمور الآخرة. قال هذا القائل: وليس تمثيل الباقي بالفاني على ظاهر إطلاقه. والله تعالى أعلم. «شرح مسلم للنووي» (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).

فضل المرابطة في سبيل الله والأمر الإلهي بالرباط

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

أن يربط المؤمن قلبه بالله... وجسده بالأرض ليدافع عنها ويندفع منها، فمثله كمثل شجرة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء.. مثله مثل جبل يناطح السحاب قد وصلت جذوره إلى عمق الأرض لا تزعزعه الرياح ولا تؤثر فيه الخطوب.

إنه الصمود المشرف والسمو المعز والصخرة الأبية في وجه الكفر وأهله. إنه الجدار المنيع في وجه المدّ المظلم والظلام الحالك.

- روى البخاري (2892)، وغيره من حديث سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «رِباطُ يومٍ في سبيلِ الله خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها. ومَوضعُ سَوطِ أَحدِكم من الجنةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها، والرَّوحةُ يَروحُها العبدُ في سبيلِ الله أَوِ الغَدْوَةُ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها».

- وروى الإمام أحمد (23788) ومسلم (1913) والترمذي (1665) وغيرهم، واللفظ لمسلم من حديث سلمان رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِهِ. وإن ماتَ، جرى عليه عملُهُ الذي كان يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليْهِ رِزقُهُ، وأَمِنَ الفتَّان**» يعني فتاني القبر.

وأما معنى الآية الكريمة: فعن الحسن البصري وقتادة في قوله تعالى: ﴿اَصْبِرُوا﴾ أي على طاعة الله ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله في الجهاد ﴿وَرَابِطُوا﴾ في سبيل الله. وعن محمد ابن كعب القرظي: اصبروا على الطاعة وصابروا لانتظار الوعد ورابطوا العدو واتقوا الله فيما بينكم. وعن زيد بن أسلم: اصبروا على الجهاد وصابروا العدو ورابطوا الخيل. قال ابن قتيبة أصل الرباط أن يربط هؤلاء خيلهم وهؤلاء خيلهم استعداداً للقتال، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] وأخرج ذلك ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما، وتفسيره برباط الخيل يرجع إلى الأول. وفي الموطأ عن أبي هريرة مرفوعاً «وانتظار الصلاة فذلكم الرباط» وهو في السنن عن أبي سعيد، وفي المستدرك عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف أن الآية نزلت في ذلك، احتج بأنه لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو فيه رباط انتهى.

وحمل الآية على الأول أظهر، ما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه ولا سيما مع ثبوت حديث الباب، فعلى تقدير تسليم أنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ رباط فلا يمنع ذلك من الأمر به والترغيب فيه، ويحتمل أن يكون المراد كلًّا من الأمرين أو ما هو أعم من ذلك، وأما التقييد باليوم في الترجمة وإطلاقه في الآية فكأنه أشار إلى أن مطلقها يقيد بالحديث، فإنه يشعر بأن أقل الرباط يوم لسياقه في مقام المبالغة، وذكره مع موضع سوط يشير إلى ذلك أيضاً.

وأما قوله ﷺ: «رباط يوم وليلة...» الحديث ولأحمد والترمذي وابن ماجه عن عثمان «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» قال ابن بزيزة: ولا تعارض بينهما لأنه يحمل على الإعلام بالزيادة في الثواب عن الأول، أو باختلاف العاملين. قلت: أو باختلاف العمل بالنسبة إلى الكثرة والقلة، ولا يعارضان حديث الباب أيضاً لأن صيام شهر وقيامه خير من الدنيا وما عليها. «فتح الباري» (٦/ ١٨١) ـ مختصراً.

فضل الحراسة في سبيل الله تعالى

أن يحرس المسلم إخوانه المجاهدين ليناموا مرتاحين آمنين.. ويسهر يرقب بعينيه وبأحاسيسه أي خطر يمكن أن يدهمهم، لهو في قمة المجد وذروة السعادة.. إنهم جميعاً في قلبه وبين جنبات رعايته. إنها التضحية الصامتة، والعزيمة المتوفزة. إنه الحب الجامح في الله تعالى ولله تعالى.

- روى البخاري (2885) ومسلم (2410)، وغيرهما، واللفظ للبخاري من طريق عبدِ الله بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ قال: سمعتُ عائشةَ رضي الله عنها تقول: كان النبيُّ ﷺ سَهِرَ، فلمّا قَدِمَ المدينةَ قال: «**ليتَ رجُلاً من أصحابي صالحاً يَحْرُسني الليلةَ**»، إذْ سمِعنا صوتَ سلاحٍ، فقال: «**مَن هٰذا؟**» فقال: أنا سعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ جئتُ لأحرُسَكَ. «فنام النبيُّ ﷺ».

- وروى البخاري (2887) وابن ماجه (4135) وغيرهما من حديث أبي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَميصةِ: إن أُعطِيَ رضيَ وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ. طُوبى لعَبدٍ آخِذٍ بعِنانِ فرَسِهِ في سبيلِ الله، أشعثَ رأسُهُ مغبرَّةٍ قدماهُ، إن كان في الحراسةِ، كان في الحراسةِ، وإن كان في الساقةِ كان في الساقة. إنِ استأْذَنَ لم يؤذَنْ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ**» لفظ البخاري.

- وروى الترمذي (1639) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**عَيْنَانِ لا تمسُّهما النَّارُ عَينٌ بكَتْ مِنْ خَشْيةِ اللهِ، وعَيْنٌ باتتْ تحرسُ في سَبيلِ الله**» قال الترمذي: حديث حسنٌ غريب.

- وروى الترمذي (3046) والحاكم (3221) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلتْ هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، فأخرج رسولُ الله ﷺ رأسه من القُبَّةِ، فقال لهم: «**يا أيها النَّاسُ، انْصَرِفُوا فقد عصمني اللهُ**» لفظ الترمذي. وتعقبه بقوله: هذا حديث غريب.

وقوله: فنام النبي ﷺ. زاد البخاري (7231) في روايته الثانية للحديث «حتى سمعنا غطيطه». وفي الحديث الأخذ بالحذر والاحتراس من العدو، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل. وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحاً، وإنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل. وأيضاً فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب لأن

التوكل عمل القلب وهي عمل البدن وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «**اعقلها وتوكل**» قال ابن بطال: نسخ ذلك كما دل عليه حديث عائشة؛ وقال القرطبي: ليس في الآية ما ينافي الحراسة كما أن إعلام الله نصر دينه وإظهاره ما يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدد، وعلى هذا فالمراد العصمة من الفتنة والإضلال أو إزهاق الروح والله أعلم. «فتح الباري» (٦ ـ ١٧٦).

وقوله ﷺ: «**تعس**» بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد سعد، تقول تعس فلان أي شقي، وقيل معنى التعس الكب على الوجه، قال الخليل: التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته، قيل: التعس الشر وقيل: البعد وقيل: الهلاك، وقيل: التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه، وقيل: تعس أخطأ حجته وبغيته. وقوله: «وانتكس» بالمهملة أي عاوده المرض، وقيل: إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى. وحكى عياض أن بعضهم رواه «انتكش» بالمعجمة وفسره بالرجوع، وجعله دعاء له لا عليه، والأول أولى.

وقوله ﷺ: «**وإذا شيك فلا انتقش**» شيك: بكسر المعجمة وسكن التحتانية بعدها كافٍ، وانتقش: بالقاف والمعجمة، والمعنى إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش، تقول نقشت الشوك إذا استخرجته. وذكر ابن قتيبة أن بعضهم رواه بالعين المهملة بدل القاف، ومعناه صحيح لكن مع ذكر الشوكة تقوى رواية القاف. ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد المروزي «وإذا شيت» بمثناة فوقانية بدل الكاف وهو تغيير فاحش، وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزاً عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا. وفي قوله: «**طوبى لعبد إلخ**» إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة.

وقوله ﷺ: «**أشعث**» صفة لعبد وهو مجرور بالفتحة لعدم الصرف و «رأسه» بالرفع الفاعل، قال الطيبي: «أشعث رأسه مغبرة قدماه» حالان من قوله: «لعبد» لأنه موصوف. وقال الكرماني: يجوز الرفع ولم يوجهه وقال غيره: ويجوز في أشعث الرفع على أنه صفة رأس، أي رأسه أشعث، وكذا قوله: «مغبرة قدماه».

وقوله ﷺ: «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة، . وإن كان في الساقة كان في الساقة**» هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظاً لكن المعنى مختلف،

والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها، وقيل: معنى «فهو في الحراسة» أي فهو في ثواب الحراسة، وقيل: هو للتعظيم أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلاً بخويصة عمله. وقال ابن الجوزي: المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار؛ فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها. [والساقة: مؤخرة الجيش].

وقوله ﷺ: «إن استأذن لم يأذن له وإن شفع لم يشفع» فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل التواضع.

وقوله ﷺ: «طوبى لعبدٍ..» قيل: المراد به الدعاء له بالجنة، لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه، فدعا له أن ينالها، ودخول الجنة ملزوم نيلها. «فتح الباري» (٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨)[1].

(1) سئلت اللجنة الدائمة في «المملكة العربية السعودية» تحت الرقم (12570): ما المقصود في الرباط في سبيل اللَّه، وما فضله عند الله؟ مع قبول عظيم شكري واحترامي.
فأجابت بما يلي: يقصد بالمرابطة في سبيل الله: مرابطة الجنود وإقامتهم في نحر العدو؛ لحفظ حدود وثغور البلاد المسلمة، وصيانتها عن دخول الأعداء إلى داخل البلاد الإسلامية، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان فضيلة المرابطة في سبيل اللَّه، ففي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»، وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه»، وفي مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان وسنن أبي داود والترمذي، عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر») وقال الترمذي: حسن صحيح.
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

obeikandl.com

فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى

قال الله ﷻ : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: 261، 262].

- **وروى** الإمام أحمد (17093) ومسلم (1892) والنسائي (3178) وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ. قَالَ: جاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ. فَقَالَ: هٰذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَكَ بِهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. سَبْعُمائَةِ نَاقَةٍ. كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»**.

قال الإمام النووي رحمه الله : معنى مخطومة أي فيها خطام وهو قريب من الزمام وقيل: يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له في الجنة بها سبعمائة ناقة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم. «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥٢٠).

- **وروى** الإمام أحمد (19058) والترمذي (1625) والنسائي (3186) وغيرهم بإسناد صحيح، واللفظ للنسائي من حديث خُريم بن فاتك رضي الله عنه ، قال: قال رسُول اللهِ ﷺ: **«من أنْفَقَ نفقةً في سبيلِ اللهِ، كُتِبَتْ له بِسَبْعمائةِ ضِعْفٍ»**.

- **وروى** ابن حبان (4746)، بإسناد صحيح، من حديثِ ثَوْبَان رضي الله عنه ، قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«أَفْضَلُ دِينَارٍ، دينَارٌ يُنفِقُهُ الرَّجُلُ على عِيَالِهِ، ودينَارٌ يُنْفِقُهُ على فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ ودِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ على أَصْحَابِهِ في سبيلِ اللهِ»**.

- **وروى** البخاري (2841) ومسلم (3216)، وغيرهما من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: **«مَن أَنفَقَ زَوجَينِ في سبيلِ الله دعاهُ خَزَنةُ الجنَّةِ ـ كلُّ خَزَنَةِ بابٍ ـ: أَي فُل، هلمَّ»**. قال أَبو بكرٍ: يا رسولَ الله، ذاكَ الذي لا تَوَى عليهِ، فقال النبيُّ ﷺ: **«إني لأرجو أَن تكونَ منهم»**.

- **ورواه** ابن حبان (4641)، بإسناد حسن، من طريق أبي سلمة عن أبي هُريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيلِ اللهِ مِنْ مَالِه، دَعَتْهُ حَجَبة الجَنَّةِ أيْ فُلُ هَلُمَّ هٰذا خَيْرٌ مِرَاراً»** فقالَ أبو بكر: يا رَسُولَ اللهِ هٰذا الَّذِي لا تَوَى عَلَيْهِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«أما إنِّي أَرْجُو أن تَدْعُوكَ الحَجَبَةُ كُلُّها»**.

وقوله ﷺ: «أيْ فلُ» بضم اللام معناه: أي فلان، فرخم ونقل إعراب الكلمة على إحدى اللغتين في الترخيم، وقوله ﷺ: «لا توى عليه» أي: لا هلاك ولا ضياع ولا خسارة. وانظر أخي الكريم تتمة شرحه في آخر الباب.

- وروى البخاري (2842) ومسلم (1052) من طريق عَطاءِ بنِ يَسارٍ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قامَ على المِنبرِ فقال: «إنَّما أخشى عليكم مِن بعدي ما يُفتَحُ عليكم من بَرَكات الأرض».

ثمَّ ذكرَ زهرةَ الدُّنيا فبَدأ بإحداهما وثنّى بالأخرى. فقامَ رجُلٌ فقال: يا رسولَ الله، أوَ يأْتي الخيرُ بالشرّ؟ فسكت عنهُ النبيُّ ﷺ، قلنا: يُوحىٰ إليه، وسَكتَ الناسُ كأنَّ على رُؤُوسِهم الطَّيرُ.

ثمَّ إنه مسحَ عن وَجههِ الرُّحَضَاءَ[1] فقال: «أَينَ السائلُ آنِفاً؟ أَوَ خَيرٌ هوَ ثلاثاً. إنَّ الخيرَ لا يأْتي إلا بالخَيرِ. وإنه كلُّ ما يُنبِتُ الرَّبيعُ ما يَقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ، إلا آكلة الخضر كلما أكلَتْ، حتّى إذا امْتَدَّتْ خاصِرتاها استقبلَتِ الشمسَ فثَلَطتْ وبالَت ثم رَتَعَتْ.

وإنَّ هٰذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، ونعمَ صاحبُ المسلم لمن أَخذَهُ بحقِّهِ فجعَلَهُ في سبيلِ الله واليَتامى والمساكينِ، ومَن لم يأْخُذْه بحقِّه فهوَ كالآكلِ الذي لا يَشبَعُ، ويكونُ عليهِ شَهيداً يومَ القِيامة».

- وروى ابن حبان (4648)، بإسناد حسن، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: لما نَزَلَتْ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261].

قالَ رسولُ الله ﷺ: «رَبِّ زِدْ أُمَّتي» فَنَزَلَتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 245] قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

- وروى الإمام أحمد (21341) والبخاري في «الأدب المفرد» (150) وابن حبان (4645) واللفظ له، بإسناد صحيح، من طريق الحسن البصري، قال:

حدثني صعصعة بن معاوية، قال: لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبذة قد أورد رواحل له، فسقاها،

(1) الرُحَضاء: بضم الراء وفتح الحاء ـ أي العرق من الشدة، وانظر أخي الكريم شرح بقية الحديث في آخر الباب. ففيه فوائد مهمة.

ثم أصدرها وقد علَّق قربةً في عنقِ راحلةٍ له منها ليشرب منها، ويسقي أصحابه، وذلك خُلُقٌ من أخلاق العربِ، فقلتُ: يا أبا ذرٍّ: ما مالُكَ؟ قال: مالي عَمَلِي، قلتُ: يا أبا ذرٍّ ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يقولُ؟ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مالِهِ، ابتدرتْهُ حَجَبَةُ الجنةِ**».

قُلْتُ: يا أبا ذر ما هٰذانِ الزَّوْجَانِ؟ فقالَ: إنْ كان رجالاً، فَرَجُلانِ، وإنْ كَانَتْ خَيْلاً، فَفَرَسَانِ، وإن كَانَت إبلاً، فَبَعِيرَانِ حَتَّى عدَّ أصنافَ المالِ كُلَّهُ. قلتُ: إيهِ يا أبا ذرٍّ، فقالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُما ثَلاثَةُ أَوْلادٍ إلا أَدْخَلَهُما اللهُ الجَنَّة بفضلِ رَحْمَتِهِ**».

- **قوله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله»** أي شيئين من أي نوع كان مما ينفق، والزوج يطلق على الواحد وعلى الاثنين وهو هنا على الواحد جزماً، وقوله: «كل خزنة باب» كأنه من المقلوب لأن المراد خزنة كل باب.

قال المهلب: في هذا الحديث أن الجهاد أفضل الأعمال، لأن المجاهد يعطى أجر المصلي والصائم والمتصدق وإن لم يفعل ذلك، لأن باب الريان للصائمين، وقد ذكر في الحديث أن المجاهد يدعى من تلك الأبواب كلها بإنفاق قليل المال في سبيل الله انتهى. «فتح الباري» (٦ ـ ١٣٥) مختصراً.

وقوله رضي الله عنه: ذاك الذي لا توى عليه: أي لا خوف عليه ولا خير. وقد جاء الحديث بأتم منه عند البخاري (1897) وغيره من طريق حُميدِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن أنْفقَ زَوجَينِ في سَبيلِ الله نُودِيَ من أبوابِ الجنَّةِ: يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعِيَ مِن بابِ الصلاةِ، ومَن كانَ مِن أهلِ الجهادِ دُعيَ من بابِ الجهادِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعيَ من بابِ الرَّيّانِ، ومَن كان مِن أهلِ الصدَقةِ دُعيَ من بابِ الصدَقة**».

فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ الله، ما على من دُعي من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟

فقال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم**».

قوله ﷺ: «وإنه كلُّ ما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم» الحَبَط ـ بفتح الحاء ـ التخمة. و«يلم» أي يقارب القتل. والربيع: الجدول قال في «الفتح» (١٣ ـ ٢٥ ـ ٢٧):

قوله ﷺ: «**يقتل حبطاً أو يلم**» أما حبطاً فبفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة أيضاً، والحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة تحبط حبطاً إذا أصابت مرعى طيباً فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، وروي بالخاء المعجمة من التخبط وهو الاضطراب والأول المعتمد، وقوله: «يلم» بضم أوله أي يقرب من الهلاك.

قوله ﷺ: «**إلا**» بالتشديد على الاستثناء، وروي بفتح الهمزة وتخفيف اللام للاستفتاح.

قوله ﷺ: «**آكلة**» بالمد وكسر الكاف، و «الخضر» بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين للأكثر وهو ضرب من الكلأ يعجب الماشية وواحده خضرة، وفي رواية الكشميهني بضم الخاء وسكون الضاد وزيادة الهاء في آخره، وفي رواية السرخسي «الخضراء» بفتح أوله وسكون ثانيه وبالمد، ولغيرهم بضم أوله وفتح ثانيه جمع خضرة.

قوله ﷺ: «**امتلأت خاصرتاها**» تثنية خاصرة بخاء معجمة وصاد مهملة وهما جانبا البطن من الحيوان، وفي رواية الكشميهني «خاصرتها» بالإفراد.

قوله ﷺ: «**أتت**» بمثناة أي جاءت وفي رواية هلال «استقبلت».

قوله ﷺ: «**اجترت**» بالجيم أي استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغه.

قوله ﷺ: «**وثلطت**» بمثلثة ولام مفتوحتين ثم طاء وضبطها ابن التين بكسر اللام أي ألقت ما في بطنها رقيقاً، زاد الدارقطني «ثم عادت فأكلت» والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيلت في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومة، ثم تستقبل الشمس فتحمى بها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت، وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً.

قال الأزهري: هذا الحديث إذا فرق لم يكد يظهر معناه، وفيه مثلان: **أحدهما**: للمفرط في جمع الدنيا المانع من إخراجها في وجهها وهو ما تقدم أي الذي يقتل حبطاً، **والثاني**: المقتصد في جمعها وفي الانتفاع بها وهو آكلة الخضر فإن الخضر ليس من أحرار البقول التي ينبتها الربيع ولكنها الحبة والحبة ما فوق البقل ودون الشجر التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول، فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ولا منعها من مستحقها، فهو من ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر، وأكثر ما تحبط الماشية إذا انحبس

رجيعها في بطنها. وقال الزين بن المنير: آكلة الخضر هي بهيمة الأنعام التي ألف المخاطبون أحوالها في سومها ورعيها وما يعرض لها من البشم وغيره، والخضر النبات الأخضر وقيل حرار العشب التي تستلذ الماشية أكله فتستكثر منه.

قوله ﷺ: «كالذي يأكل ولا يشبع» زاد هلال «ويكون شهيداً عليه يوم القيامة» يحتمل أن يشهد عليه حقيقة بأن ينطقه الله تعالى، ويجوز أن يكون مجازاً، والمراد شهادة الملك الموكل به. ويؤخذ من الحديث التمثيل لثلاثة أصناف، لأن الماشية إذا رعت الخضر للتغذية إما أن تقتصر منه على الكفاية، وإما أن تستكثر، الأول: الزهاد والثاني: إما أن يحتال على إخراج ما لو بقي لضر فإذا أخرجه زال الضر واستمر النفع، وإما أن يهمل ذلك، الأول: العاملون في جميع الدنيا بما يجب من إمساك وبذل، والثاني: العاملون في ذلك بخلاف ذلك.

وقال الغزالي: مثل المال مثل الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها العارف الذي يحترز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة، وإن أصابها الغبي فقد لقي البلاء المهلك.

وفي الحديث جلوس الإمام على المنبر عند الموعظة في غير خطبة الجمعة ونحوها. وفيه جلوس الناس حوله والتحذير من المنافسة في الدنيا.

وفيه استفهام العالم عما يشكل وطلب الدليل لدفع المعارضة.

وفيه تسمية المال خيراً ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] وفي قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠].

وفيه ضرب المثل بالحكمة وإن وقع في اللفظ ذكر ما يستهجن كالبول فإن ذلك يغتفر لما يترتب على ذكره من المعاني اللائقة بالمقام.

وفيه أنه ﷺ كان ينتظر الوحي عند إرادة الجواب عما يسأل عنه، وهذا على ما ظنه الصحابة، ويجوز أن يكون سكوته ليأتي بالعبارة الوجيزة الجامعة المفهمة.

وقد عد ابن دريد هذا الحديث وهو قوله: **«إن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم»** من الكلام المفرد الوجيز الذي لم يسبق ﷺ إلى معناه، وكل من وقع شيء منه في كلامه فإنما أخذه منه.

ويستفاد منه ترك العجلة في الجواب إذا كان يحتاج إلى التأمل. وفيه لوم من ظن به تعنت في السؤال وحمد من أجاد فيه، ويؤيد أنه من الوحي قوله يمسح العرق فإنها كانت عادته عند نزول الوحي كما في بدء الوحي «وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

وفيه تفضيل الغني على الفقير، ولا حجة فيه لأنه لا يمكن التمسك به لمن لم يرجح أحدهما على الآخر.

وفيه الحض على إعطاء المسكين واليتيم وابن السبيل. وفيه أن المكتسب للمال من غير حله لا يبارك له فيه لتشبيهه بالذي يأكل ولا يشبع.

وفيه ذم الإسراف وكثرة الأكل والنهم فيه، وأن اكتساب المال من غير حله وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه فيصير غير مبارك كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

تنافس خَزَنَةِ الجنة في دعوة المنفق في سبيل الله تعالى للدخول من أبوابها كلها

- روى الإمام مسلم (2968) وابن منده (809) وابن حبان (4642)، وغيرهما واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سألَ النَّاسُ رَسُولَ الله ﷺ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى ربَّنا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قال: «**هلْ تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ في سَحَابٍ؟**» قالوا: لا يا رَسُولَ اللهِ. قالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهيرَةِ لَيْسَت في سَحَاب؟**» قالوا: لا يا رَسُولَ اللهِ. قال: «**فوالَّذي نفسي بِيَدِه لا تُضَارُّونَ في رُؤيَةِ ربِّكُمْ كما لا تُضَارُّونَ في رؤيتِهما فيلقى العبدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ ألم أُكْرِمْكَ، ألم أُسَوِّدْكَ، أَلَمْ أُزوِّجْكَ، ألم أُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ والإِبِلِ، وأتْرُكْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ**[1] قالَ: فيقولُ: بلى يَا رَب، قال: فظننتَ أَنَّكَ مُلاقِي؟ قال: لا يا ربّ، قال: فاليَوْمَ أنساكَ كم نَسِيتَنِي».

قال: «**ثُمَّ يَلقى الثاني، فيقول: أَلَمْ أُكْرِمْكَ، ألم أُسَوِّدْكَ، ألم أزَوِّجْكَ، ألم أُسخِّرْ لك الخَيْلَ والإِبِلَ، وأترُكْكَ ترأسُ وتَرْبَعُ، قالَ: فيقول: بلى يا ربّ، قال: ظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟ قال: لا يا ربّ، قال: فاليومَ أنساك كما نسيتَني**».

---

(1) ومعنى قوله جلّ وعلا: «ترأس» أي: تكون رئيس القوم وكبيرهم.
وقوله جلّ وعلا: «وتربع»: تأخذ المرباع الذي كان يأخذه رئيس القوم من الغنيمة وهو ربعها، يقال: ربعتهم، أي أخذت ربع أموالهم، ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً.

قال: «ثم يلقى الثالثَ فَيَقُولُ: ما أنتَ؟ فيقولُ: أنا عبدُكَ آمنْتُ بكَ وَبِنَبِيِّكَ وبِكتابِكَ، وصُمْتُ، وصلَّيتُ، وتصدَّقْتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاعَ. قالَ: فيقالُ لَهُ: أفلا نَبْعَثُ عليكَ شَاهِدَنا؟

قالَ: فَيُفَكِّر في نفسهِ مَن الذي يَشْهَدُ عَلَيْهِ، قالَ: فَيُخْتَمُ على فيهِ، ويُقَالُ لفخذِهِ؛ انْطِقِي، قالَ: فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ولَحْمُهُ وعِظَامُهُ بما كَانَ يَعْمَلُ فذلِكَ المُنافِقُ، وذلكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ[1] وذلكَ الذي سَخِطَ الله عليهِ».

قال: «ثُمَّ يُنادي منادي ألا اتَّبَعتْ كُلُّ أمةٍ ما كَانَتْ تَعْبُدُ قالَ فَيَتَّبِعُ أولياءُ الشَّياطِينِ الشَّياطِينَ، قال: واتَّبَعَتِ اليهودُ والنصارى أولياءَهُمْ إلى جهَنَّمَ ثم قالَ: ثم يَبْقَى المؤمنونَ، ثم نبقى أيُّها المؤمِنُون فيأتينا ربُّنا وهُو ربُّنا فَيَقُولُ: على ما هٰؤلاءِ قِيامٌ؟

فَيَقُولُونَ: نَحْنُ عِبَادُ اللهِ المؤمنون وعَبَدْنَاهُ وهو ربُّنا وهو آتينا ومُثيبنا، وهٰذا مقامُنا. قالَ: فيقولُ أنا رَبُّكُمْ فامْضُوا، قالَ: فَيُوضَعُ الجِسْرُ وعليه كَلالِيبُ مِنْ نَارٍ تَخْطَفُ النَّاسَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سلِّمْ.

فإذا جاوزَ الجسر، فكُلُّ مَنْ أنفقَ زوجاً مِنَ المالِ مما يَمْلِكُ في سبيلِ اللهِ، فكل خزنةِ الجَنَةِ تدعوهُ: يا عبدَ اللهِ يا مُسْلِمُ هٰذا خَيْرٌ، فَيُقَالُ: يا عَبْدَ اللهِ يا مُسْلِمُ هٰذا خيرٌ».

قالَ أبو بكرٍ: يا رَسُولَ اللهِ إنَّ ذلكَ لعبدٌ لا تَوَى عليه يَدَعُ باباً ويَلِجُ مِنْ آخرَ، قالَ: فَضَرَبَ النبيُّ ﷺ على مَنْكِبَيْهِ، وقالَ: «والَّذِي نفسي بِيَدِهِ إنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

قصة وعبرة:

- روى الإمام أحمد (19177) ومسلم (1017) والترمذي (2675) وغيرهم، واللفظ لمسلم، من طريق الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ. قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ. مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ. عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ. بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ.

فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَىٰ بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ. فَأَمَرَ بِلَالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ. فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]. وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ

(1) وقوله ﷺ: «ليعذر من نفسه» من الإعذار، والمعنى: ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتشبث به.

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 18] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ (حَتَّىٰ قَالَ) وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا. بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ. حَتَّىٰ رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ. حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ. كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: «مجتابي النمار أو العباء» النمار بكسر النون جمع نمرة بفتحها، وهي ثياب صوف فيها تنمير، والعباء بالمد وبفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان.

وقوله: «مجتابي النمار» أي خرقوها وقوروا وسطها. قوله: «فتمعر وجه رسول الله ﷺ» هو بالعين المهملة أي تغير.

وقوله: «فصلى ثم خطب» فيه استحباب جمع الناس للأمور المهمة، ووعظهم، وحثهم على مصالحهم، وتحذيرهم من القبائح.

قوله: «فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» سبب قراءة هذه الآية، أنها أبلغ في الحث على الصدقة عليهم، ولما فيها من تأكد الحق لكونهم إخوة.

قوله: «رأيت كومين من طعام وثياب» هو بفتح الكاف وضمها، قال القاضي: ضبطه بعضهم بالفتح وبعضهم بالضم، قال ابن سراج: هو بالضم اسم لما كوم، وبالفتح المرة الواحدة، قال: والكومة بالضم الصبرة، والكوم العظيم من كل شيء، والكوم المكان المرتفع كالرابية، قال القاضي: فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالرابية.

قوله: «حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة» فقوله: يتهلل أي يستنير فرحاً وسروراً.

وقوله: «مذهبة» ضبطوه بوجهين: **أحدهما**: وهو المشهور، وبه جزم القاضي والجمهور مذهبة بذال معجمة وفتح الهاء وبعدها باء موحدة، **والثاني**: ولم يذكر الحميدي في «الجمع بين الصحيحن» غيره مدهنة بدال مهملة وضم الهاء وبعدها نون،

وشرحه الحميدي في كتابه: «غريب الجمع بين الصحيحين» فقال هو وغيره ممن فسر هذه الرواية إن صحت، المدهن الإناء الذي يدهن فيه، وهو أيضاً اسم للنقرة في الجبل التي يستجمع فيها ماء المطر، فشبه صفاء وجهه الكريم بصفاء هذا الماء وبصفاء الدهن والمدهن.

قوله: «**من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها**» إلى آخره فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسنَّ السنّن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل، والمستقبحات، وسبب هذا الكلام في هذا الحديث، أنه قال في أوله: «فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها، فتتابع الناس» وكان الفضل العظيم للبادىء بهذا الخير، والفاتح لباب هذا الإحسان.

وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة. والله تعالى أعلم. «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢).

صُوَرٌ من إنفاق صحابة رسولِ اللَّه ﷺ في الجهاد في سبيل الله تعالى

إنفاق أبي بكرٍ رضي الله عنه:

- روى الإمام أحمد (26957) والطبراني في «الكبير» (24/ 235) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (2/ 56 ـ 55)، بإسناد حسن، واللفظ لأحمد من طريق يحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزبير، أن أباه حدثه عن جدَّته أسماءَ بنتِ أبي بكر، قالت: لمَّا خرجَ رسولُ الله ﷺ، وخرجَ معه أبو بكر، احتملَ أبو بكر مالَه كلَّه معه: خمسةَ آلافِ درهم، أو ستةَ آلافِ درهم. قالت: وانطلقَ بها معه. قالت: فدخلَ علينا جدِّي أبو قحافة وقد ذهبَ بصرُه، فقال: واللهِ إني لأراه قد فَجَعَكُمْ بماله مع نفسه.

قالت: قلتُ: كلَّا يا أَبَهْ، إنه قد تركَ لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذتُ أحجاراً، فوضعتُها في كُوّةِ البيتِ، كان أبي يضعُ فيها مالَه، ثم وضعتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيده، فقلتُ: يا أَبَهْ، ضَعْ يدَك على هٰذا المَال.

قالت: فوضعَ يدَه عليه، فقال: لا بأسَ، إنْ كانَ قد تركَ لكم هٰذا، فقد أحسَنَ، وفي هذا لكم بلاغ. قالت: ولا واللهِ ما تركَ لنا شيئاً، ولٰكني قد أرَدْتُ أن أُسَكِّنَ الشيخَ بذلك.

إنفاق عثمان بن عفان رضي الله عنه:

- روى الطبراني في «الكبير» (231 ـ 232/ 18) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10311)، بإسناد قابل للتحسين عن عمران بن حُصين رضي الله عنه أنه شهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أيام غزوة تَبوك في جيش العُسرة، فأمر رسول الله ﷺ بالصدقة والقوة والتأسي، وكانت نصارىٰ العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي خرج يَنْتَحِلُ النبوَّة قد هلك، وأصابته سُنون، فهلكت أموالهم، فإن كنت تريد أن تلحقَ دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له: الضناد، وجهز معه أربعين ألفاً، فلما بلغ ذلك نبي الله ﷺ كتب في العرب، وكان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو، ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ**».

فلم يكن للناس قوة، وكان عثمان بن عفان، قد جهز عِيراً إلى الشام يريد أن يَمْتَارَ عليها، فقال: يا رسول الله هذه مِئتا بعير بأَقْتَابِها وأَحْلَاسِها ومئتا أوقيَّة، فحمد الله رسول الله ﷺ، وكبَّر الناس ثم قام مقاماً آخر وأمر بالصدقة فقام عثمان فقال:

يا رسول الله وهاتان مئتان ومئتا أوقية، فكبَّر الله وكبَّر النَّاس وأتى عثمان بالإبل وأتىٰ بالصدقة بين يديه، فسمعته يقول: «**لا يَضُرُّ عُثمان ما عَمِلَ بَعْدَ هَذا اليَوْمِ**».

إنفاق زينب بنت جحش ـ زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها:

- روى الإمام أحمد (24953) والبخاري (1420) ومسلم (2452)، وغيرهم من طريق عَائِشَة بِنْتِ طَلْحَة، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي، أَطْوَلُكُنَّ يَداً**».

قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْولُ يَداً.

قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَداً زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَتَصَدَّقُ.

- ورواه الحاكم (6850)، من طريق يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «**أسرَعُكُنَّ لحوقاً بي أَطْوَلُكُنَّ يَداً**» قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول،

فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبيّ ﷺ، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبيّ ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، قال: وكانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ وتخرز وتَصَدَّقُ في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ [1].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قولها: «قال رسول الله ﷺ: **أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً**. فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً. قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق» معنى الحديث: أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة، وفعل الخير. فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. قال أهل اللغة: يقال: فلان طويل اليد، وطويل الباع إذا كان سمحاً جواداً. وضده قصير اليد، والباع، وجد الأنامل. وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ، ومنقبة ظاهرة لزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. «شرح صحيح مسلم» (٨/١٦).

قصة وعبرة فيمن اشترى نفسه من الكفار، وربح بيعه!

- روى الطبراني في «الكبير» (7296)، بإسناد حسن، من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ سَبْخَةً بَيْنَ ظَهرَانِي حَرَّةٍ، فإمَّا أَنْ تَكُونَ هَجَر، وإِمَّا أَنْ تَكُونَ يَثْرِب**».

قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت أن أخرج معه، وصَدَّني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكياً، فَنَامُوا، فخرجت، فلحقني منهم ناس بعدما سرت يريدون رَدِّي، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أَوَاقٍ من ذهب، وحُلّة سِيَرَاء لي بمكة، وتُخَلُّون سبيلي وتُوثِّقُونَ لي، ففعلوا.

فتبعتهم إلى مكة، فقلت: احفروا تحت أُسْكُفَّةِ الباب، فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة بآية كذا كذا، فخذوا الحلتين، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء

(1) وقد جاء في «المجمع» (14070) من رواية الطبراني في «الأوسط»، من حديث السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنحو هذا الحديث ألا إنها قالت: وكانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي ﷺ يخيطون به، ويستعينون به في مغازيهم.

قبل أن يتحوَّل منها، فلما رآني قال: «يَا أَبَا يَحْيىٰ رَبحَ البَيْعُ» ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل ﷺ.

- وروى النسائي في (3182) من طريق حُصين بن عبد الرَّحْمٰنِ يُحَدِّثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ جَاوَانَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: «خَرَجْنَا حُجَّاجاً فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ، فَبَيْنَا نَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَانَا آتٍ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَفَزِعُوا، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى نَفَرٍ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ وَفِيهِمْ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

فَإِنَّا لَكَذٰلِكَ إِذْ جَاءَ عُثْمَانُ رضي الله عنه عَلَيْهِ مُلَاءَةٌ صَفْرَاءُ قَدْ قَنَّعَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَهٰهُنَا طَلْحَةُ، أَهٰهُنَا الزُّبَيْرُ، أَهٰهُنَا سَعْدٌ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ» فَابْتَعْتُهُ بِعِشْرِينَ أَلْفاً أَوْ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ ابْتَاعَ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ» فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا قَالَ: «اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَقَالَ: «مَنْ يُجَهِّزْ هٰؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» يَعْنِي جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا عِقَالاً وَلَا خِطَاماً فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

وكان مقصوده رضي الله عنه، بقوله ذاك، إقامة الحجة على من عاداه وناوأه. وانتقص من مكانته عند رسول الله ﷺ. والله تعالى أعلم. وفيه فضل النفقة في سبيل الله تعالى، وأنها سبب لمغفرة ذنوب العبد، وقُربة منه إلى الله جلَّ وعلا. وفيه فضل عثمان رضي الله عنه، وسعة إنفاقه في سبيل الله تعالى وعظيم رحمته بالمسلمين فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير، حشرنا معه بصحبة النبي ﷺ وصحابته الأخيار. اللّهم آمين.

الفرق بين جهاد النفس وبين الجهاد في سبيل اللّه

ـ سُئِلتْ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في «المملكة العربية السعودية» ـ الفتوى رقم (9105) ـ: هل كلمة (الجهاد) و (في سبيل الله) التي وردت في القرآن الكريم لا تعني غير القتال، هل صحيح أنه لا وجود لشيء اسمه جهاد النفس، هل جهاد النفس كما ورد من النبي ﷺ عند عودته من غزوة تبوك لا ينبغي أن يعتقد فيه؛ لأن الحديث ضعيف، من يستطيع أن يقول إنه من الجهاد، أو في سبيل الله في ضوء الأحاديث النبوية؟

الجواب: أولاً: صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة في المراد بقوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 60] في آية مصارف الزكاة، وهو: قرار رقم 24 وتاريخ 12/ 8/ 1394 هـ.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد جرى اطلاع هيئة كبار العلماء في دورتها الخامسة، المعقودة في مدينة الطائف، ما بين يوم 5/ 8/ 94 هـ، ويوم (22/ 8/ 1394 هـ) على ما أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء من بحث في المراد بقول الله تعالى في آية مصارف الزكاة: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هل المراد بذلك الغزاة في سبيل الله، وما يلزم لهم، أم عام في كل وجه من وجوه البر؟ وبعد دراسة البحث المعد، والاطلاع على ما تضمنه من أقوال أهل العلم في هذا الصدد، ومناقشة أدلة من فسر المراد بسبيل الله في الآية بأنهم الغزاة وما يلزم لهم، وأدلة من توسع في المراد بالآية، ولم يحصرها في الغزاة، فأدخل فيه: بناء المساجد، والقناطر، وتعليم العلم وتعلمه، وبث الدعاة والمرشدين..، وغير ذلك من أعمال البر. رأى أكثرية أعضاء المجلس الأخذ بقول جمهور العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء، من أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الغزاة المتطوعون بغزوهم، وما يلزم لهم من استعداد، وإذا لم يوجدوا صرفت الزكاة كلها للأصناف الأخرى، ولا يجوز صرفها في شيء من المرافق العامة، إلا إذ لم يوجد لها مستحق من الفقراء والمساكين، وبقية الأصناف المنصوص عليهم في الآية.

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء

obeikandl.com

وجهة نظر في المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فبدراستنا لأقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من آية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: 60] الآية، وتأملنا الآراء الثلاثة في تعيين المراد بسبيل الله، وما استند إليه أصحاب كل رأي؛ ظهر لنا وجاهة القول بأن المراد بسبيل الله في قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وجوه البر، وفي مقدمتها الجهاد في سبيل الله، وذلك لما يأتي:

1 ـ أن اللفظ عام؛ فلا يجوز قصره على بعض أفراده دون سائرها إلا بدليل، ولا دليل على ذلك، وما قيل بشأن حديث عطاء بن يسار: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة..» وذكر منهم: «غاز في سبيل الله» يعين: أن سبيل الله هو الغزو، فغير صحيح، ذلك أن غاية ما يدل عليه الحديث: أن المجاهد يعطى من سهم سبيل الله ولو كان غنياً، وسبل الله كثيرة لا تنحصر في الجهاد في سبيل الله.

2 ـ جاءت الأحاديث والآثار بتطبيق العموم في مدلول قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فقد اعتبرت السُنَّة الحج والعمرة في سبيل الله يتضح ذلك من حديث أبي لاس وحديث أم معقل، وحديث ابن عباس، وفيه: أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله. وقد جاءت الآثار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ باعتبار الحج سبيلاً من سبل الله، فقد ذكر أبو عبيد في كتابه الأموال بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه، أنه كان لا يرى بأساً أن يعطي الرجل من زكاة ماله للحج، وما أخرجه أبو عبيد بإسناد صحيح إلى ابن عمر أنه سئل عن امرأة أوصت بثلاثين درهماً في سبيل الله، فقيل له: أتُجعل في الحج؟ قال: أما إنه من سبيل الله.

وما ذكره القرطبي في تفسيره، من أن عبد الرحمٰن بن أبي نعم قال: كنت جالساً مع عبد الله بن عمر، فأتته امرأة فقالت له: يا أبا عبد الرحمٰن، إن زوجي أوصى بماله في سبيل الله.. وفيه:.. أمرها أن تدفعه إلى قوم صالحين إلى حجاج بيت الله الحرام، أولئك وفد الرحمٰن، أولئك وفد الرحمٰن، أولئك وفد الرحمٰن.

كما اعتبرت السُنَّة إشاعة الألفة بين المسلمين، وتطييب خواطرهم، وحفظ حقوقهم سبيلاً من سبل الله، ففي صحيح البخاري في باب القسامة قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا

سعيد بن عبيد، عن بشير بن يسار، زعم أن رجلاً من الأنصار يقال له: سهل بن أبي حثمة، أخبره أن نفراً من قومه انطلقوا إلى خيبر، فتفرقوا فيها، ووجدوا أحدهم قتيلاً، وقالوا للذي وجد فيهم: قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً.

فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلاً، فقال: «الكبر الكبر» فقال لهم: «تأتون بالبينة على من قتله؟»، قالوا: ما لنا بينة، قال: «فيحلفون»، قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود، فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه، فوداه مائة من إبل الصدقة. قال ابن حجر: ووقع في رواية ابن أبي ليلى: فوداه من عنده.

وقد جمع بعضهم بين الروايتين بأن المراد من قوله من عنده، أي: بيت المال المرصد للمصالح، قال ابن حجر: وقد حمله بعضهم على ظاهره، فحكى القاضي عياض عن بعض العلماء، جواز صرف الزكاة في المصالح العامة، واستدل بهذا الحديث وغيره. قلت وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة، وفي الكلام على حديث أبي لاس، قال: حملنا النبي ﷺ على إبل الصدقة في الحج، وعلى هذا فالمراد بالعندية: كونها تحت أمره، وحكمه، وللاحتراز من جعل ديته على اليهود أو غيرهم.

قال القرطبي في «المفهم»: فعل النبي ﷺ ذلك على مقتضى كرمه، وحسن سياسته، وجلباً للمصلحة، ودرءاً للمفسدة، على سبيل التأليف، ولا سيما عند تعذر الوصول إلى استيفاء الحق. اهـ.

وذكر النووي في معرض شرحه حديث القسامة قال: قال الإمام أبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يجوز صرفها من إبل الزكاة لهذا الحديث، فأخذ بظاهره ا هـ.

ورأى حبر هذه الأمة، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه يجوز الإعتاق من الزكاة، ففي صحيح البخاري، تحت باب قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 60]: ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعتق من زكاة ماله، ويعطي في الحج، ثم تلا: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية، في: أيها أعطيت أجزأت.

قال ابن حجر: ووصله أبو عبيد في كتاب الأموال من طريق حسان بن أبي الأشرس، عن مجاهد، عنه، أنه كان لا يرى بأساً أن يعطي الرجل من زكاة ماله في الحج، وأن يعتق منه الرقبة، وأخرج عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: أعتق من زكاة مالك. ا هـ.

3 ـ أن تعبير النبي ﷺ بمن التبعيضية في حديث معقل في قوله: «فإن الحج من سبيل

الله»، يشعر أن سبيل الله المراد في آية مصارف الزكاة على عمومه، وأنه يتناول مجموعة من الأمور، وأن الحج منها. وبمثل تعبيره ﷺ عبر ابن عمر فقال عن الحج: أما إنه من سبيل الله.

وعليه فإن وجهة نظرنا تتلخص فيما يأتي:

أنه مع مراعاة عدم الإخلال بمصارف الزكاة الأخرى، فإن سهم سبيل الله يشمل سائر المصالح العامة، وأولاها بالتقديم الاستعداد لمحاربة أعداء الإسلام، بشراء الأسلحة بجميع أنواعها، وتجهيز الغزاة، وتغذية الجند، وما إلى ذلك، إذا لم يكن في بيت المال ما يقوم بذلك أو يكفيه. ومن أعظم المصالح العامة: بعث البعوث للدعوة إلى الإسلام، وبيان أحكامه، ومحاربة دعاة الضلال والإلحاد والمبادىء الهدامة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

محمد الحركان صالح بن غصون عبد الله بن منيع

عبد العزيز بن صالح عبد المجيد حسن عبد الله خياط

ثانياً: جهاد النفس ـ بحملها على فعل ما أمر الله به، وكفها عما نهى الله عنه ـ مشروع، ولكن كون الجهاد الأكبر وقتال الكفار هو الجهاد الأصغر ليس بصحيح، والحديث الوارد في هذا ليس بصحيح. والله أعلم.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

نائب رئيس اللجنة الرئيس

عبد الرزاق عفيفي عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الجهاد في سبيل اللّه تعالى أفضل الأعمال عند الله تعالى بعد الإيمان

- روى الإمام أحمد (21331) والبخاري (2518) ومسلم (84)، وغيرهم، واللفظ لأحمد، من حديث أبي ذر الغفاريّ رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: «**إيمانٌ بالله، وجِهادٌ في سَبيله**» قلتُ: يا رسولَ الله، فأيُّ الرِّقابِ

أفضلُ؟ قال: «**أنْفَسُها عندَ أهلِها، وأغلاها ثَمَناً**» قال فإنْ لم أجِدْ؟ قال: «**تُعِينُ صانعاً، أو تَصنعُ لأخْرَقَ**» قال: فإنْ لم أستطعْ؟ قال: «**كُفَّ أذاكَ عن النَّاسِ فإنَّها صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بها عن نَفْسِكَ**».

والأخرق: هو الذي لا يُحسن الصنعة.

فضل الخدمة في سبيل الله تعالى

- روى الإمام أحمد (8183) والبخاري (2889) ومسلم (1009)، وغيرهم واللفظ لأحمد من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَليهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ الشَّمْسُ**»، قال: «**تَعْدِلُ بينَ الاثنيْن صَدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِه تَحْمِلُهُ عليها أوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ عليها صَدَقَةٌ**»، وقال: «**الكَلِمةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»، وقال: «**كُلُّ خَطْوَة يَمْشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأذَى عن الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»[1].

- **وروى** البخاري (2890) ومسلم (1119)، وغيرهما واللفظ للبخاري، من حديث أَنَسٍ ﷺ قال: كنّا معَ النبيِّ ﷺ أكثرُنا ظِلًّا الذي من يستظِلُّ بكِسائهِ، وأَما الذين صاموا فلم يَعمَلوا شيئاً، وأَما الذين أَفطَروا فبَعثوا الرِّكابَ. وامتَهنوا وعالجوا، فقال النبيُّ ﷺ: «**ذهبَ المفطرونَ اليومَ بالأجرِ**»[2].

- **وروى** البخاري (2889) ومسلم (1365) واللفظ للبخاري من طريق محمدِ بنِ جعفرَ عن عمرِو بنِ أَبي عمرَو مَولى المطّلبِ بنِ حَنْطَبٍ أَنه سمعَ أَنس بنَ مالكٍ ﷺ

---

(1) **قوله ﷺ**: «كل سلامي» قال السندي: بضم سين وتخفيف لام: مفاصل البدن.
وقوله ﷺ: «عليه صدقة» أي: واجبة عليه، ونسبة الوجوب إلى المفاصل مجازية، وهي واجبة على الإنسان لسلامة المفاصل ومعافاتها، والمراد بالوجوب الثبوت على وجه التأكد لا الوجوب الشرعي.
وقوله ﷺ: «تميط»: من الإماطة، أي: إزالة الأذى من الطريق وإبعاده.

(2) ولا يخفى ما في الحديث من الأجر على المعاونة في الجهاد، وأن الفطر في الغزو أولى من الصيام والله تعالى أعلم.

يقول: خَرجتُ مع رسولِ الله ﷺ إلى خَيبرَ أَخدُمهُ، فلما قدِمَ النبيُّ ﷺ راجِعاً وبَدا لهُ أُحدٌ قال: «**هٰذا جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبه**». ثمَّ أَشارَ بيدِه إلى المدينةِ قال: «**اللّهمَّ إني أُحرِّمُ ما بينَ لابَتَيْها كتحريمِ إبراهيمَ مكةَ، اللّهمَّ بارِكْ لنا في صاعنا ومُدِّنا**».

ـ ورواه مسلم من طريق إِسْماعِيلَ بْنِ جعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو، مَوْلَى الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي طَلْحَةَ: «**الْتَمِسْ لِي غُلَاماً مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي**» فَخَرَجَ بِي أَبو طَلْحَةَ يُرْدِفُنِي وَرَاءَهُ. فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كلَّمَا نَزَلَ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: ثُمَّ أَقْبَلَ، حَتَّىٰ إِذَا بَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ: «**هٰذَا جَبَلٌ يُحِبّنَا وَنُحِبُّهُ**» فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ! إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ. اللَّهُمَّ! بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**».

وقوله: «حتى إذا بدا له أحد قال: **هذا جبل يحبنا ونحبه**» الصحيح المختار أن معناه: أن أحداً يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزاً يحب به كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: 74] وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى، وكما فر الحجر بثوب موسى ﷺ، وكما قال نبينا ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ**» وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعتا، وكما رجف حراء فقال: «**اسكن حراء فليس عليك إلا نبي وصديق**» الحديث. وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾ [الإسراء: 44] **والصحيح في معنى** هذه الآية أن كل شيء يسبح حقيقة بحسب حاله ولكن لا نفقهه. وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه، واختاره المحققون في معنى الحديث. وأن أحداً يحبنا حقيقة. وقيل: المراد يحبنا أهله فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والله أعلم. **[قاله الإمام النووي** رحمه الله **في «شرح صحيح مسلم» (5 ـ 264 ـ 265)]**.

– **وروى** البخاري (2888) ومسلم (2513) واللفظ للبخاري من طريق شعبةُ عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ عن ثابتٍ البُنانيِّ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: «صَحِبْتُ جَريرَ ابنَ عبدِ الله فكانَ يَخدُمني وهو أَكبَرُ من أَنَسٍ. قال جَريرٌ: إني رأَيتُ الأَنصارَ يَصنَعونَ شَيئاً لا أَجدُ أَحداً منهم إلّا أَكرَمتهُ».

وقوله: إني رأيتُ الأنصار يصنعون شيئاً، وفي رواية مسلم: إني قد رأيتُ الأنصار تصنعُ برسولِ الله ﷺ شيئاً، آليتُ أن لا أصحبَ أحداً منهم إلّا خدمتُهُ.

فضل من مشى في سبيل الله ﷻ
وأغبرت قدماه طلباً لرضاه

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: 120].

والنصب: التعب. والمخمصة: شدة الجوع.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 12].

- **وروى** الإمام أحمد (4605) والبخاري (2811) والترمذي (1632) وغيرهم، واللفظ للبخاري، من حديث عبد الرحمٰن بن جبرٍ رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اغبرَّتا قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ، فتمسه النَّار**».

ورواه ابن حبان (5605)، بإسناد صحيح، بلفظ: «**من اغبرَّتْ قَدَمَاهُ في سبيلِ الله، حرَّمهما اللهُ على النَّارِ**».

- **وروى** الإمام أحمد (14952) والطيالسي (1772) وابن حبان (4604)، وغيرهم بإسناد صحيح، من طريق حُصين بن حرملة المهري، قال: حدثنا أبو المصبِّح المُقرائي، قال: بينما نحنُ نسيرُ بأرض الروم في طائفةٍ عليها مالكُ بنُ عبدِ اللهِ الخَثْعَمِي إِذْ مرَّ مالكٌ بجابِرِ بنِ عبدِ اللهِ وهو يمشي يَقُودُ بغلاً لَهُ فقالَ لَهُ مالك: أيْ أبا عبدِ اللهِ ارْكَبْ، فقد حملكَ اللهُ، فقالَ جابر: أُصْلِحُ دابتي، وأستغني عن قومي، وسَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَماهُ في سَبِيلِ اللهِ، حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ**».

فأعجبَ مالكاً قولُهُ، فسارَ حتى إذا كانَ حيثُ يُسمِعُهُ الصوت ناداهُ بأعلى صوته يا أبا عبدِ اللهِ ارْكَبْ، فقد حَمَلَكَ اللهُ، فعرفَ جابرٌ الذي أرادَ برفعِ صوتِهِ، وقال: أُصْلِحُ دابتي، وأستغني عَنْ قومي، وسَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنِ اغْبَرَّتْ قدماهُ في سَبيلِ اللهِ، حَرَّمهُ اللهُ على النارِ**» فوثبَ الناسُ عَنْ دوابِّهِمْ، فما رأينا يوماً أكثرَ ماشياً منهُ. لفظ ابن حبان.

- وروى الترمذي (1633) والنسائي (3111) وابن حبان (4607)، بإسناد حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يجتمع دخانُ جهنَّمَ وغُبارٌ في سبيلِ اللهِ في منخريِّ مسلمٍ**»(1).

ورواه ابن حبان (4606) والنسائي (3110) والحاكم (2394) وغيرهم بإسناد حسن، من طريق ابن عجلان، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسُولَ الله ﷺ قال: «**لا يجتمعُ في جَوْفِ عبدٍ مؤمنٍ غبارٌ في سبيل اللهِ، وفيحُ جهنم، ولا يجتمعُ في جوفِ عَبْدٍ الإيمانُ، والحسَدُ**» لفظ ابن حبان.

وفيح جهنم: حرَّها ولهيبها.

فضل التأهب والتربص بأعداء الله تعالى ولو موقف ساعة في سبيل الله تعالى

قال العزيزُ الحكيم: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

(1) سُئِلَ فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله: ما حكم الجهاد في فلسطين، وما حكم مساندتهم؟

فأجاب: حسب ما سمعنا أن اليهود قتَّلت الفلسطينيين وسامتهم سُوء العذاب بعد ما يسمونه بالانتفاضة، واللَّه أعلم. هل هي حقيقة واقعة، أو أنه قد غُرِّر بالفلسطينيين ليَتَحَرَّكوا هذه الحركة فيقضي عليهم اليهود.

وعلى كل حال فالذي يَليق بنا أن نُعِينَ هؤلاء على مَا هُم فيه من المِحَن والأذى بكل حال، وحسب ما سمعت أن هؤلاء الفلسطينيين الذين في الأرض المُحْتَلَّة رجعوا إلى الله عز وجل، وصار فيهم شباب مُتَيَقِّظ، كما هو موجود والحمد لله في كثير من البلاد، وأنهم تحركوا هذه الحركة حركة إسلامية لا قومية، يريدون أن يَتَخَلَّصُوا من اليهود الذين يحتلون المسجد الأقصى، ومعلوم أنه إذا كانت الحركة حركة إسلامية لإنقاذ البلاد من الكفر فهو جهاد في سبيل اللَّه، والجهاد في سبيل الله من وظائف ومُهِمَّات المسلمين، ولكن لا بد من طريق طويل بالنسبة للفلسطينيين، لأنهم عُزَّل ولا يمكنهم حمل السِّلاح بواسطة السيطرة القوية من جانب اليهود عليهم، فالمسألة تحتاج إلى ما يسمونه بالتَّضحِيات وإلى طول نفَس حتى يأتي الله تعالى بالنَّصر. [«فتاوى ابن عثيمين» (٢ ـ ٩٣٨ ـ ٩٣٩)].

وقال الله العزيز الجبار: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

- **وروى** ابن حبان في «صحيحه» (4603) والبيهقي (7 ـ 270) بإسناد صحيح من طريق محمدُ بنُ عبدِ الرحمٰن، عن مجاهدٍ.

عن أبي هُريرة أنهُ كانَ في الرِّبَاطِ، فَفَزِعُوا إلى السَّاحِلِ، ثُمَّ قيلَ: لا بأسَ، فانصرفَ النَّاسُ وأبو هريرةَ واقفٌ، فمرَّ بهِ إنسانٌ فقالَ: ما يُوقِفُكَ يا أبا هريرة، فقالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَوْقِفُ سَاعَة في سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةِ القَدْرِ عِنْدَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ**». لفظ ابن حبان.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١]. فإنما نزلت لتصف لنا كيف كان رسولُ الله ﷺ يرتب مقاعد الجند للقتال في معركة «أُحد».

ولنصغِ إلى ما قاله في ذلك الشهيد سيد قطب رحمه الله في وصف مشاهد ووقائع وأحداث ما حصل وجرى في هذه المعركة. قال رحمه الله:

كان المسلمون قد انتصروا في بدر، ذلك الانتصار الكامل، الذي تبدو فيه ـ في ظل الظروف التي وقع فيها ـ رائحة المعجزة. وقد قتل الله بأيديهم أئمة الكفر ورؤوسه من قريش. فرأس في قريش أبو سفيان بن حرب ـ بعد ذهاب أشرافهم في بدر ـ فأخذ يؤلب على المسلمين لأخذ الثأر. وكانت القافلة التي تحمل متاجر قريش قد نجت فلم تقع في أيدي المسلمين؛ فتآمر المشركون على رصد ما فيها من أموال لحرب المسلمين.

وقد جمع أبو سفيان قريباً من ثلاثة آلاف من قريش وأحلافهم والأحابيش[1] وخرج بهم في شوّال من السنة الثالثة للهجرة؛ وجاؤوا معهم بنسائهم ليحاموا عنهن ولا يفروا. ثم أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريباً من جبل أُحد.

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه: أيخرج إليهم، أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه ألَّا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها؛ فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت. ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبيّ (رأس المنافقين) فبادرت جماعة كبيرة من الصحابة ـ ومعظمهم من الشبان ممن فاتهم يوم بدر ـ فأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه في ذلك. حتى بدا أن هذا هو الرأي السائد في الجماعة. فنهض ﷺ ودخل بيته ـ بيت عائشة رضي الله عنها ـ

(1) هم من الأعراب. وقد سموا كذلك لتحالفهم إلى جوار مكان يقال له: الأحبش.

ولبس لأمته، وخرج عليهم، وقد انثنى عزم أولئك. وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج! فقالوا: يا رسول الله، إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل. فقال رسول الله ﷺ «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**». . وألقى عليهم بذلك درساً نبوياً عالياً؛ فللشورى وقتها حتى إذا انتهت جاء وقت العزم والمضي والتوكل على الله. ولم يعد هناك مجال للتردد، وإعادة الشورى والتأرجح بين الآراء. إنما تمضي الأمور لغاياتها ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

وكان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه: أن في سيفه ثلمة، ورأى أن بقراً تذبح، وأنه أدخل يده في درع حصينة. . فتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته. وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون. وتأول الدرع بالمدينة. . وكان إذن يرى عاقبة المعركة. ولكنه في الوقت ذاته كان يُمضي نظام الشورى، ونظام الحركة بعد الشورى. . لقد كان يربي أمة. والأمم تربى بالأحداث، وبرصيد التجارب الذي تتمخض عنه الأحداث. . ثم لقد كان يُمضي قدر الله، الذي تستقر عليه مشاعره، ويستقر عليه قلبه، فيمضي وفق مواقع هذا القدر، كما يحسها في قلبه الموصول.

وخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة، فلما صار بين المدينة وأُحد، انعزل رأس النفاق: عبد الله بن أبيّ بنحو ثلث العسكر. وقال: يخالفني ويسمع للفتية! فتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام ـ والد جابر بن عبد الله ـ ﷺ يوبخهم ويحضهم على الرجوع. ويقول: «تعالوا قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع! فرجع عنهم وسبهم».

وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود. . فأبى ﷺ فالمعركة هي معركة الإيمان والكفر فما ليهود بها؟ والنصر من عند الله ـ حين يصح التوكل عليه وتتجرد القلوب له ـ وقال: «من رجل يخرج بنا على القوم من كثب؟» فخرج به بعض الأنصار حتى نزل الشعب من أُحد عدوة الوادي، وجعل ظهره إلى أُحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم.

فلما أصبح تعبأ للقتال في سبعمائة، فيهم خمسون فارساً، واستعمل على الرماة ـ وكانوا خمسين ـ عبد الله بن جبير، وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم، وألا يفارقوه ولو رأوا الطير تتخطف العسكر. وكانوا خلف الجيش. وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم.

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين. وأعطى اللواء مصعب بن عمير. وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو. واستعرض الشبان يومئذٍ، فرد من استصغره عن القتال. وكان منهم عبد الله بن عمرو، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزام. وأجاز من رآه مطيقاً. وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة!

وتعبأت قريش للقتال وهم في ثلاثة آلاف. وفيهم مائتا فارس. فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل.

ودفع رسول الله ﷺ سيفه إلى أبي دجانة سماك بن خرشة. وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب.

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق. وكان يسمى «الراهب» فسماه رسول الله ﷺ «الفاسق». وكان رأس الأوس في الجاهلية. فلما جاء الإسلام شرق به، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحضهم على قتاله. ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه. فكان أول من لقي المسلمين. فنادى قومه، وتعرف إليهم. فقالوا له: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر! ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً.

ولما نشب القتال أبلى أبو دجانة الأنصاري بلاءً حسناً. هو وطلحة بن عبيد الله، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والنضر بن أنس، وسعد بن الربيع.

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار؛ حيث قتل من هؤلاء سبعون من صناديدهم. وانهزم أعداء الله وولوا مدبرين. حتى انتهوا إلى نسائهم. وحتى شمرت النساء ثيابهن عن أرجلهن هاربات!

فلما رأى الرماة هزيمة المشركين وانكشافهم، تركوا مراكزهم التي أمرهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوها. وقالوا: يا قوم، الغنيمة! الغنيمة! فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة! فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلوا الثغر في أُحد!

عندئذٍ أدركها خالد، فكرّ في خيل المشركين، فوجدوا الثغر خالياً فاحتلوه من خلف ظهور المسلمين. وأقبل المنهزمون من المشركين حين رأوا خالداً والفرسان قد علوا المسلمين، فأحاطوا بهم!

وانقلبت المعركة، فدارت الدائرة على المسلمين، ووقع الهرج والمرج في الصف، واستولى الاضطراب والذعر، لهول المفاجأة التي لم يتوقعها أحد. وكثر القتل واستشهد من المسلمين من كتب الله له الشهادة. وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ وقد أفرد إلا من نفر يعدون على الأصابع قاتلوا عنه حتى قتلوا. وقد جرح وجهه ﷺ وكسرت سنه الرباعية اليمنى في الفك الأسفل. وهشمت البيضة على رأسه. ورماه المشركون بالحجارة حتى وقع لجنبه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق قد حفرها وغطاها! يكيد بها المسلمين. غاصت حلقتان من حلق المغفر في وجنته.

وفي وسط هذا الهول المحيط بالمسلمين صاح صائح: أن محمداً قتل.. فكانت الطامة التي هدت بما بقي من قواهم، فانقلبوا على أعقابهم مهزومين هزيمة منكرة لا يحاولون قتالاً، مما أصابهم من اليأس والكلال!

ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر ﷺ وقد انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم! فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ فقال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل المشركين ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد واهاً لريح الجنة إني أجدها من دون أحد! فقاتل حتى قتل... ووجد به بضع وسبعون ضربة. ولم تعرفه إلا أخته.. عرفته ببنانه.

وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين. وكان أول من عرفه تحت المغفر، كعب بن مالك. فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين. أبشروا. هذا رسول الله ﷺ فأشار بيده: أن اسكت. واجتمع إليه المسلمون. ونهضوا معه إلى الشعب. وفيهم أبو بكر وعمر والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم.. فلما امتدوا صعوداً في الجبل أدرك رسول الله ﷺ أبيّ بن خلف على جواد له اسمه العود كان يطعمه في مكة ويقول: أقتل عليه محمداً. فلما سمع بذلك رسول الله ﷺ قال: **بل أنا أقتله إن شاء الله**.. فلما أدركه تناول ﷺ الحربة من الحارث وطعن بها عدو الله في ترقوته. فذهب يخور كالثور. وقد أيقن أنه مقتول. كما قال رسول الله ﷺ من قبل! ومات بالفعل في طريق عودته!

وأشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ **لا تجيبوه**. فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه. فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم

يجيبوه. ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة. فقال: مخاطباً قومه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه أن قال: يا عدو الله. إن الذين ذكرتهم أحياء. وقد أبقى الله لك ما يسوؤك! فقال: قد كان في القوم مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني! (يشير بذلك إلى ما صنعته زوجه هند بجثمان حمزة رضي الله عنه بعد أن قتله وحشي. حين بقرت بطنه، واستخرجت كبده. فلاكتها ثمّ لفظتها!).

ثم قال: اعلُ هُبل! فقال رسول الله ﷺ **ألا تجيبونه؟** قالوا: بماذا نجيبه؟ قال: **قولوا: الله أعلى وأجل** قال: لنا العزى ولا عزى لكم! قال رسول الله ﷺ: **ألا تجيبونه؟** قالوا: بماذا نجيبه؟ قال: **قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.** قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. فقال عمر رضي الله عنه: لا سواء. قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ولما انقضت المعركة انصرف المشركون، فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لسبي الذراري وإحراز الأموال. فشق ذلك عليهم. فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه «**اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون. فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة. وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة. فوالذي نفسي بيده لو أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزهم فيها**».

قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون. فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووجهوا مكة.

فلما كانوا في بعض الطريق تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضهم: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم. فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم.. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم وقال: «**لا يخرج معنا إلا من شهد القتال.**» فقال له عبد الله بن أبيّ: أركب معك. قال: لا. فاستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف؛ وقالوا: سمعاً وطاعة.

واستأذنه جابر بن عبد الله. وقال: يا رسول الله إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك، وإنما خلفني أبي على بناته يوم أُحد، فأذن لي أسير معك، فأذن له، فسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد؛ وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذّله، فلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فقال: وما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم.

وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم. فقال: ما تقول؟ فقال ما أرى أن ترتحل حتى يطلع الجيش وراء هذه الأكمة! فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم. قال: فلا تفعل فإني لك ناصح! فرجعوا على أعقابهم إلى مكة.

ولقي أبو سفيان بعض المشركين يريدون المدينة؛ فقال: هل لك أن تبلغ محمداً رسالة، وأوقر لك راحلتك زبيباً إذا أتيت إلى مكة؟ قال: نعم. قال: أبلغ محمداً أنا قد جمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه. فلما بلغهم قوله قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. ولم يفت ذلك في عضدهم. وأقاموا ثلاثة أيام ينتظرون. ثم عرفوا أن المشركين أبعدوا في طريقهم إلى مكة منصرفين. فعادوا إلى المدينة[1].

فضل من جهز غازياً في سبيل الله تعالى
إن لم يغزُ لعذر يمنعه، وأجر من خلف الغازي في أهله وماله

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2].

وقال العزيز الوهاب: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: 10 ـ 11].

- روى الإمام أحمد (17083) ومسلم (1893) والبخاري في «الأدب المفرد» (242)، وغيرهم، واللفظ لمسلم، من طريق أَبِي عَمْرو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: «مَا عِنْدِي» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».

(1) «في ظلال القرآن» للشهيد السيد قطب (1/ 460 ـ 463).

قال الإمام النووي رحمه الله :

قوله ﷺ : «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثواباً بذلك الفعل كما أن لفاعله ثواباً ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء. «**شرح صحيح مسلم**» (٦ ـ ٥٢١).

- **وروى** الإمام أحمد (17036) والبخاري (2843) ومسلم (1895) وغيرهم واللفظ للبخاري من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه ؛ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**من جهَّزَ غازياً في سبيلِ الله فقدْ غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيلِ اللهِ بخيرٍ، فقدْ غَزَا**».

ورواه مسلم بلفظ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**».

قال الإمام النووي: قوله ﷺ : «**من جهز غازياً فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**» أي حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليله وكثيره ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو ذب عنهم أو مساعدتهم في أمر لهم، ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام أمر من مهماتهم.

- **وروى** الإمام أحمد (11301) ومسلم (1896) وأبو داود (2510) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بعثاً إِلَىٰ بَنِي لِحْيَانَ، مِنْ هُذَيْلٍ. فَقَالَ: «**لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا. وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**».

- ورواه مسلم أيضاً من طريق يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَىٰ بَنِي لِحْيَانَ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجلٌ» ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: «**أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ**».

وقوله: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان من هذيل فقال: «**لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما**» أما بنو لحيان فبكسر اللام وفتحها والكسر أشهر، وقد اتفق العلماء على أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفاراً فبعث إليهم بعثاً يغزونهم

وقال لذلك البعث: ليخرج من كل قبيلة نصف عددها وهو المراد بقوله من كل رجلين أحدهما، وأما كون الأجر بينهما فهو محمول على ما إذا خلف المقيم الغازي في أهله بخير كما شرحناه قريباً وكما صرح به في باقي الأحاديث. ذكره النووي.

- **وروى** الإمام أحمد (17036) ومسلم (1894) وأبو داود (2780) وغيرهم واللفظ لمسلم من طريق ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَن فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الْغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِي مَا أَتَجَهَّزُ. قَالَ: «**ائْتِ فُلَاناً فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ**». فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ. وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئاً. فَوَاللهِ، لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئاً فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ».

قال الإمام النووي: فيه فضيلة الدلالة على الخير، وفيه أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة يستحب له بذله في جهة أخرى من البر ولا يلزمه ذلك ما لم يلتزمه بالنذر.

خاتمـة:

- **روى** الإمام أحمد (126) وابن ماجه (735) وابن حبان (4628)، وغيرهم بإسناد صحيح، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**من أَظَلَّ رأْسَ غازٍ، أظلَّهُ اللهُ يَوْمَ القيامةِ، ومن جَهَّزَ غازياً في سبيلِ اللهِ لجهادِهِ، فَلَهُ مِثلُ أجرِهِ، ومن بنى مَسْجِداً يُذْكَرُ فيه اسمُ اللهِ، بنى اللهُ لَهُ بيتاً في الجنَّةِ**» لفظ ابن حبان.

فضل من رمى بسهمٍ في سبيل اللَّه تعالى والحض على تعلم الرمي، والتحذير من إغفاله

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: 17].

- **وروى** ابن حبان (4614) والبيهقي (9/ 162) وغيرهما بإسناد صحيح، من

حديث كعب بن مُرَّة رضي الله عنه ، قال: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «من رمىٰ بسَهْمٍ في سبيلِ اللهِ، كانَ كمنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً»[1] لفظ ابن حبان.

- ورواه أحمد (17022)، وأبو داود (3965) والترمذي (1638) وغيرهم، بأتمّ منه، بإسناد صحيح أيضاً على شرط مسلم، من طريق مَعْدان بن أبي طلحة، عن أبي نجيح السُّلمي رضي الله عنه ، قال: حاصرنا مع نبي اللهِ حصنَ الطَّائف، فسمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَلَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ»، قال: فَبَلَغْتُ يومئذٍ ستةَ عشرَ سهماً، فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ الله عز وجل فَهُوَ عَدْلُ مُحَرَّرٍ، وَمَنْ شابَ شَيْبَةً في سَبِيلِ الله كانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ، وأيُّما رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلاً مُسْلِمَاً فإنَّ اللهَ عز وجل جاعِلٌ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظماً مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِه منَ النَّارِ، وأيُّما امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتقَت امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فإنَّ الله عز وجل جاعِلٌ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِها عَظْماً مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِها مِنَ النَّارِ» لفظ أحمد.

- وروى الإمام أحمد (16528) والبخاري (2899) وابن ماجه (2815) وغيرهم، واللفظ للبخاري، من طريق يَزيدَ بنِ أَبي عُبَيدٍ قال: سمعتُ سلمةَ بنَ الأَكْوع رضي الله عنه قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ من أَسْلَم ينْتضلون، فقال النبيُّ ﷺ: «ارْموا بني إسماعيلَ، فإنَّ أَباكم كان رامياً ارْموا وأَنا معَ بني فلان». قال: فأَمسَكَ أَحدُ الفَريقينِ بأَيديهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما لَكم لا تَرْمون؟» قالوا: كيفَ نَرْمي وأَنت معهم فقال النبيُّ ﷺ: «ارموا فأَنا معكم كلِّكم».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (/ 188 ـ 189): قوله ﷺ: «وأنا معكم كلكم» بكسر اللام، ووقع في رواية عروة «وأنا مع جماعتكم» والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير، ويحتمل أن يكون قام مقام المحلل فيخرج السبق من عنده ولا يخرج

(1) ورواه ابن حبان أيضاً (4616) وغيره بإسناد صحيح على شرط مسلم، من طريق شُرحبيل ابنِ السِّمْطِ قال:
قلنا: لِكَعْبِ بنِ مُرَّةَ: يا كَعْبُ حَدِّثْنا عن رسولِ الله ﷺ واحْذَرْ، فقال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَلَغَ العَدُوَّ بسهم، رَفَعَ اللَّهُ بِهِ درجةً لهُ» فقالَ لَهُ عبدُ الرحمٰن بن النحَّامِ: يا رَسُولَ الله وما الدَّرَجَةُ؟ قالَ: «أما إنَّها لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، ما بينَ الدرجتينِ مِئَةُ عَامٍ».

كما تقدم، ولا سيما وقد خصه بعضهم بالإمام، قال المهلب: يستفاد منه أن من صار السلطان عليه في جملة المناضلين له أن لا يتعرض لذلك كما فعل هؤلاء القوم حيث أمسكوا لكون النبي ﷺ مع الفريق الآخر خشية أن يغلبوهم فيكون النبي ﷺ مع من وقع عليه الغلب فأمسكوا عن ذلك تأدباً معه انتهى. وتعقب بأن المعنى الذي أمسكوا له لم ينحصر في هذا بل الظاهر أنهم أمسكوا لما استشعروا من قوة قلوب أصحابهم بالغلبة حيث صار النبي ﷺ معهم وذلك من أعظم الوجوه المشعرة بالنصر. وقد وقع في رواية حمزة بن عمرو عند الطبراني «فقالوا من كنت معه فقد غلب» وكذا في رواية ابن إسحاق: فقال نضلة: لا تغلب من كنتَ معه».

ـ وروى الإمام أحمد (17437) ومسلم (1917) وأبو داود (2514)، وغيرهم واللفظ لمسلم، من طريق ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]. **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».**

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] «**ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً**» هذا تصريح بتفسيرها ورد لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا، وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها كما سبق في بابه، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب التحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك. «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥٤٣).

- وروى البخاري (2900) من طريق حمزةَ بنِ أبي أُسَيدٍ عن أبيه قال: قال النبيُّ ﷺ يوم بَدْرٍ حِينَ صَفَفْنا لقُريشٍ وصفُّوا لنا: «**إذا أَكْثبوكم فعلَيكم بالنَّبل**».

ومعنى قوله ﷺ: «**إذا أكثبوكم**» أي إذا دنوا منكم. والكثب: القرب. وفي هذا الإرشاد النبوي لفتة إلى عدم تضييع الرامي لأسهمه، إذ ربما لو رموهم عن بعد فقد لا تصل إليهم سهامهم وتذهب في غير منفعة وربما أدى ذلك إلى كشف مواقعهم فيحصل ما لم يكن بالحسبان.

- وروى الإمام أحمد (17339) ومسلم (1919) واللفظ له من طريق عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ شُمَاسَةَ؛ أَنَّ فُقَيْماً اللخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هٰذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ

كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَة: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُول اللهِ ﷺ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لابْنِ شُمَّاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّه قَالَ: «**مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَىٰ**».

قوله ﷺ: : «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى» هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر. ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم»[1] (٦/ ٥٤٤).

خاتمة في اللهو بالحراب:

- **وروى** الإمام أحمد (17438) ومسلم (1918) وغيرهما من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ. وَيَكْفِيكُمُ اللهُ. فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ**». لفظ مسلم.

- **وروى** البخاري (2901) من طريق هِشام عن مَعْمرٍ عنِ الزُّهريِّ عنِ ابنِ المسيَّبِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: بَينا الحبَشةُ يَلعبون عند النبيِّ ﷺ بحرابهم، دخل عمرُ فأَهْوَى إلى الحصباء فحصَبَهم بها فقال: «**دعهُم يا عمرُ**». وزاد عليٌّ. حدَّثَنا عبدُ الرَّزّاقِ أخبرنا معْمرٌ «في المسجدِ».

ـ فضل من جُرِحَ في سبيل الله تعالى:

- روى الإمام أحمد (7302) والبخاري (2803) ومسلم (1876) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**والَّذِي نفسي بِيَدِهِ، لا يُكْلَمُ أَحَدٌ في**

(1) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (6/ 188): ولأبي داود وابن حبان من وجه آخر عن عقبة بن عامر رفعه «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله. فارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا» الحديث، وفيه «ومن ترك الرمي بعد علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها». ولمسلم من وجه آخر عن عقبة رفعه «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى» ـ ورواه ابن ماجه بلفظ «فقد عصاني» قال القرطبي: إنما فسر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمى رأس الكتيبة فيصاب فينهزم من خلفه.

سبيلِ الله ـ والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله ـ إلا جاءَ يومَ القيامة واللَّونُ لون الدَّم، والرِّيحُ ريحُ المِسْكُ» لفظ البخاري. ومعنى يُكْلم: أي يُجرح.

ـ فضل من قُتِلَ في سبيل الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: 154].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: 169 ـ 171][1].

---

(1) قال الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه «في ظلال القرآن» (1/ 517 ـ 519)، عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: 169].

قال: والآية نصٌ في النهي عن حسبان، أن الذين قتلوا في سبيل اللَّه، وفارقوا هذه الحياة، وبعدوا عن أعين الناس.. أموات. ونصٌ كذلك في إثبات أنهم ﴿أَحْيَاءٌ﴾.. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾. ثم يلي هذا النهي وهذا الإثبات، وصف ما لهم من خصائص الحياة. فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾.

ومع أننا نحن ـ في هذه الفانية ـ لا نعرف نوع الحياة التي يحياها الشهداء، إلا ما يبلغنا من وصفها في الأحاديث الصحاح.. إلا أن هذا النص الصادق من العليم الخبير كفيل وحده بأن يغير مفاهيمنا للموت والحياة، وما بينهما من انفصال والتئام. وكفيل وحده بأن يعلمنا أن الأمور في حقيقتها ليست كما هي في ظواهرها التي ندركها؛ وأننا حين ننشئ مفاهيمنا للحقائق المطلقة بالاستناد إلى الظواهر التي ندركها. لا ننتهي إلى إدراك حقيقي لها؛ وأنه أولى لنا أن ننتظر البيان في شأنها ممن يملك البيان ﷻ.

فهؤلاء ناس منا، يقتلون، وتفارقهم الحياة التي نعرف ظواهرها، ويفارقون الحياة كما تبدو لنا من ظاهرها. ولكن لأنهم: ﴿قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ وتجردوا له من كل الأعراض والأغراض الجزئية الصغيرة؛ واتصلت أرواحهم باللَّه فجادوا بأرواحهم في سبيله.. لأنهم قتلوا كذلك، فإن الله ـ سبحانه ـ يخبرنا في الخبر الصادق، أنهم ليسوا أمواتاً. وينهانا أن نحسبهم كذلك، ويؤكد لنا أنهم أحياء عنده، وأنهم يرزقون. فيتلقون رزقه لهم استقبال الأحياء.. ويخبرنا كذلك بما لهم من خصائص الحياة الأخرى:

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾. =

. . . . . .

= فهم يستقبلون رزق الله بالفرح؛ لأنهم يدركون أنه «من فضله» عليهم. فهو دليل رضاه وهم قد قتلوا في سبيل الله. فأي شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟ ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم؛ وهم مستبشرون لهم؛ لما علموه من رضى الله عن المؤمنين المجاهدين:

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

إنهم لم ينفصلوا من إخوانهم ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ ولم تنقطع بهم صلاتهم. إنهم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ كذلك معهم، مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة. موضع استبشارهم لهم: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. . وقد عرفوا هذا واستيقنوه من حياتهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ومن تلقيهم لما يفيضه عليهم من نعمة وفضل، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين الصادقين. وأنه لا يضيع أجر المؤمنين.

فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء ـ الذين قتلوا في سبيل الله؟ ـ وما الذي يفصلهم عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؟ وما الذي يجعل هذه النقلة موضع حسرة وفقدان ووحشة في نفس الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؛ وهي أولى أن تكون موضع غبطة ورضى وأنس، عن هذه الرحلة إلى جوار الله، مع هذا الاتصال بالأحياء والحياة!

إنها تعديل كامل لمفهوم الموت ـ متى كان في سبيل الله ـ وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم. وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها، بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، كما تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة. وحيث تستقر في مجال فسيح عريض، لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة، ومن حياة إلى حياة!

ووفقاً لهذا المفهوم الجديد الذي أقامته هذه الآية ونظائرها من القرآن الكريم في قلوب المسلمين، سارت خطى المجاهدين الكرام في طلب الشهادة ـ في سبيل الله ـ.

وبعد تقرير هذه الحقيقة الكبيرة يتحدث عن «المؤمنين» الذين يستبشر الشهداء في الموقعة بما هو مدّخر لهم عند ربهم، فيعين من هم؛ ويحدد خصائصهم وصفاتهم وقصتهم مع ربهم:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ـ ١٧٤]. =

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

- وروى الإمام مالك في «موطئه» (1003) وأحمد (22648) ومسلم (1885)

= إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول - ﷺ - إلى الخروج معه مرة أخرى غداة المعركة المريرة. وهم مثخنون بالجراح. وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة. وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة، ومرارة الهزيمة، وشدة الكرب. وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا، فقل عددهم، فوق ما هم مثخنون بالجراح!

ولكن رسول الله - ﷺ - دعاهم. ودعاهم وحدهم. ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم - ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال! - فاستجابوا.. استجابوا لدعوة الرسول ﷺ - وهي دعوة الله - كما يقرر السياق وكما هي في حقيقتها وفي مفهومهم كذلك - فاستجابوا بهذا للّه والرسول ﴿مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح.

لقد دعاهم رسول الله - ﷺ - ودعاهم وحدهم. وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى، وتومىء إلى حقائق كبرى، نشير إلى شيء منها:

فلعل رسول الله - ﷺ - شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة، وآلام البرح والقرح؛ فاستنهضهم لمتابعة قريش، وتعقبها، كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء، وليست نهاية المطاف. وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء، إنما هي واحدة وتمضي، ولهم الكرة عليهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة الله والرسول.

ولعل رسول الله - ﷺ - شاء في الجانب الآخر ألا تمضي قريش، وفي جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته. فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس؛ يشعر قريشاً أنها لم تنل من المسلمين منالاً. وأنه بقي لها منهم من يتعقبها ويكر عليها.

وقد تحققت هذه وتلك كما ذكرت روايات السيرة.

ولعل رسول الله - ﷺ - شاء أن يشعر المسلمين، وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها. ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها. عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية في أنفسهم لا يبذلونها لها، ولا يقدمونها فداها.

لقد كان هذا أمراً جيداً في هذه الأرض في ذلك الحين. لم يكن بد أن تشعر الأرض كلها - بعد أن يشعر المؤمنون - بقيام هذا الأمر الجديد، وبوجود هذه الحقيقة الكبيرة.

وغيرهم، واللفظ لمسلم من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ؛ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَنَّه قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: «**أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ**» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ تُكَفِّرُ عَنِّي خطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلَّا الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ، عليه السلام، قَالَ لِي ذٰلِكَ**».

- **وروى** مسلم (1887) والترمذي (3011) وابن ماجه (2801) وغيرهم، واللفظ لمسلم، من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ. قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ (هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ) عَنْ هٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: 169] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ. تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. فَاطَّلَعَ إِلَيْهِم رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذٰلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ. فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**».

- **وروى** البخاري (2814) ومسلم (677) وابن حبان (4651) وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ علىٰ الَّذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ ثلاثين صَبَاحاً يَدْعُو على رِعْلٍ وَلِحْيَانَ وعُصَيَّةَ عَصَتِ الله ورسُولَه، قالَ أنس: أَنْزَلَ اللهُ في الَّذِينَ قُتِلُوا ببئر معونة قرآناً قرأناهُ حتى نُسِخَ بَعْدُ: «أن بَلِّغوا قَوْمَنَا أن لَقِينا رَبَّنا فَرَضِيَ عنَّا ورَضِينا عَنْهُ».

وانظر أخي الكريم ما سيأتي في خبر بئر معونة.

- **وروى** الإمام أحمد (14318) والبخاري (4046) ومسلم (1899)، وغيرهم من طريق عمرو بن دينار أنه سَمِعَ جابرَ بنَ عبد الله يقولُ: قالَ رَجُلٌ للنبيِّ ﷺ يَوْمَ أُحدٍ:

أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ في سَبِيلِ اللهِ، فَقُتِلْتُ يا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أنا؟ قالَ: «**في الجَنَّةِ**» قالَ: فَأَلْقَى تُمَيْرَاتٍ في يَدِهِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

قال أهل العلم: وهذا الذي قُتِلَ، هو حارثة بن سراقة رضي الله عنه.

- **قوله** ﷺ: للذي سأله عن تكفير خطاياه إن قتل: «**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم أعاده فقال إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك**» فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، وفيه أن الأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص للَّه تعالى.

وقوله ﷺ: «**مقبل غير مدبر**» لعله احتراز ممن يقبل في وقت ويدبر في وقت والمحتسب هو المخلص للَّه تعالى فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيت أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره وأما قوله ﷺ: «**إلا الدين**» ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يكفر حقوق الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: «**نعم، ثم قال بعد ذلك: إلا الدين**» فمحمول على أنه أوحي إليه به في الحال ولهذا قال ﷺ: «إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك» والله أعلم ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥١٣).

وقوله ﷺ **في الشهداء: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**» فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب أهل السُنَّة وهي التي أهبط منها آدم وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة هذا إجماع أهل السُنَّة.

قال القاضي عياض رحمه الله: وفيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السُنَّة، خلافاً لطائفة من المبتدعة قالت تفنى.

وقوله ﷺ: «**فقال لهم الله تعالى هل تشتهون شيئاً**» إلخ هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبهم في سؤال الزيادة فلم

يجدوا مزيداً على ما أعطاهم فسألوه حين رأوه أنه لا بدّ من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ويستلذوا بالقتل في سبيله والله أعلم. ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) مختصراً.

كرامة الشهيد على الله تعالى وإظلاله بأجنحة الملائكة

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 1].

– **روى** الإمام أحمد (14191) والبخاري (1244)، وغيرهما واللفظ للبخاري من طريق محمدَ بنَ المُنكدِرِ قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: «لمَّا قُتِلَ أبي جَعلتُ أكشِفُ الثوبَ عن وَجهِهِ أبكي، وَيَنهَوْني عنه، والنبيُّ ﷺ لا يَنهاني فجعلَتْ عَمَّتي فاطمةُ تبكي، فقال النبيُّ ﷺ: **«تَبكينَ أو لا تَبكينَ، ما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّهُ بأجنِحَتِها حتَّى رَفَعْتُمُوهُ»**.

– **وروى** الإمام أحمد (12254) والبخاري (2809)، وغيرهما من حديث أنسِ بن مالكٍ أنَّ أُمَّ الرُّبيِّع بنتَ البَراءِ وهي أُمُّ حارثةَ بنِ سُراقةَ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ الله ألا تحدِّثني عن حارثةَ ـ وكانَ قُتلَ يومَ بَدْرٍ أصابَهُ سهمٌ غربٌ ـ فإن كان في الجنَّةِ صبَرتُ، إن كان غيرَ ذٰلكَ اجتهَدْتُ عليهِ في البكاء. قال: **«يا أُمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنَّةِ، إنَّ ابنكِ أصابَ الفِردَوسَ الأعلىٰ»** لفظ البخاري.

وأما سهم غرب ـ فهو الذي لا يُعرف مصدره.

– **وروى** البخاري (2808) ومسلم (1889)، وغيرهما من حديث البراءِ رضي الله عنه: أَتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ مقنَّعٌ بالحديد فقال: يا رسولَ الله، أُقاتلُ وأُسلِمُ؟ قال: **«أَسلِمْ ثمّ قاتِلْ»**. فأسلم ثمَّ قاتلَ فقُتِلَ. فقال رسولُ الله ﷺ: **«عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً»** لفظ البخاري.

– **وروى** ابن حبان (7024) بإسناد جيد، من طريق طلحة بن خِراش، قال: سَمِعْتُ جابراً يقولُ: جاءَ عمرو بنُ الجَمُوحِ إلى رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ فقالَ: يا رسولَ الله، مَنْ قُتِلَ اليومَ دَخَلَ الجنةَ؟ قالَ: **«نَعَمْ»**. قالَ: فوالَّذي نفسي بيدِهِ، لا أَرجعُ إلى أهلي حتى أَدْخُلَ الجنةَ، فقالَ لهُ عمرُ بن الخطابِ: يا عَمْرو، لا تَألَّ على اللهِ، فقالَ رسولُ

الله ﷺ: «مَهْلاً يا عمَرُ، فإنَّ مِنهُم مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ: مِنْهمْ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجَنَّةِ بعَرْجَتِهِ».

وأما قصة عمرو بن الجموح رضي الله عنه، فقد رواها الإمام أحمد (22553) بإسناد حسن، من طريق أبي صخر حميد بن زياد؛ أن يحيى بن النضر حدثه عن أبي قتادة أنه حضر ذلك، قال: أتى عمرو بنُ الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم» فقتل يوم أُحد هو وابن أخيه[1] ومولى لهم، فمرَّ عليه رسولُ الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة».

فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبرٍ واحد.

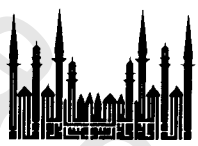

(1) قوله: «ابن أخيه» قال ابن عبد البرّ في «التمهيد»: ليس هو ابن أخيه، وإنما هو ابن عمه، قال الحافظ في «الفتح» (3/ 216): وهو كما قال، فلعله كان أسنَّ منه. ا هـ.
وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن الجموح كان سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يعظمه. فلما أسلم فتيان بني سلمة منهم ابنُه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدخلون على صنم عمرو، فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، فيغدو عمرو، فيجده منكباً لوجهه في العذرة، فيأخذه ويغسله ويُطيبه، ويقول: لو أعلم من صنع هذا بك، لأُخزينه.
ففعلوا ذلك مراراً، ثم جاء بسيفه وعلقه عليه، وقال: إن كان فيك خير، فامتنع، فلما أمسى أخذوا كلباً ميتاً، فربطوه في عنقه، وأخذوا السيفَ، فأصبح، فوجده كذلك، فأبصر رشده، فأسلم، وقال في ذلك أبياتاً منها:

تَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهاً لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ

وروى البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦) وغيره من طريق حجاج الصواف عن أبي الزبير حدثنا جابر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من سيِّدكم يا بني سلمة»؟ قلنا: الجد بنُ قيس على أنّا نُبَجِّلهُ، قال: «وأيُّ داءٍ أدوأُ من البُخْل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح».
قال: وكان عمرو يولِمُ على رسول الله ﷺ إذا تزوج. وسنده حسن..